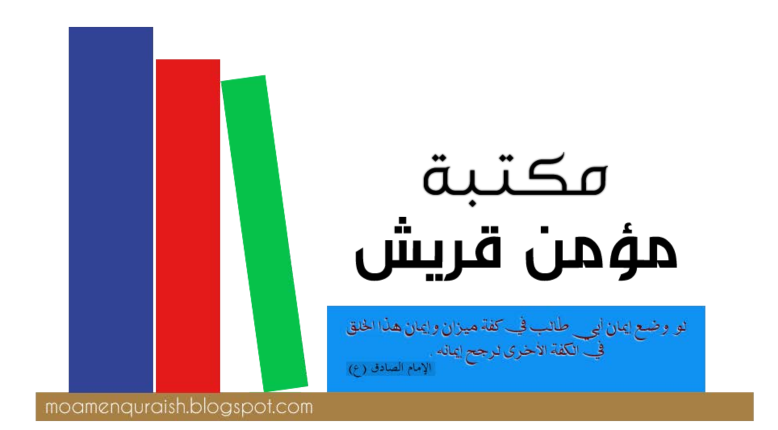
بربارا براون

نظرة عن قرب في المسيحية



نشر توحيد



نظرة عن قرب

في المسيحيّة

نظرة عن قرب
في المسيحيّة

بقلم الكاتبة الأمريكية

باربارا براون

ترجمة

المهندس مناف حسين الياسري ـ كندا

اسم الكتاب: نظرة عن قرب في المسيحيّة.
تأليف: باربارا براون.
الكمية: ٣٠٠٠ نسخة.
تاريخ النشر: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
المطبعة: صدر.
الناشر: شركة التوحيد للنشر.

الإهداء:

إلىٰ زوجي مارفن،

وإلىٰ أطفالنا مارفن الصغير وميشيل مع الحب.

باربارا براون

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

مقدّمة المترجم

في هذا الجوّ المليء بـالهجوم عـلى الإسـلام وأهـله والحـرب ذات الجبهات التي لاتُعدّ ولا تُحصىٰ والمفتوحة ضد هذه العقيدة السامية، يُمثّل هذا الكتاب الصغير موقفاً دفاعياً مجيداً تـقفه كـاتبة مسـلمة أمـريكية شجاعة هَداها الله فاعتنقت دين الحق قبل سنوات قليلة.

إنّ من يقرأ هذا الكتاب ليستحضر في ذهنه قوله تعالى:

﴿يُريدُونَ أن يُطفِئُوا نُورَ اللهِ بأفواهِهِم ويَأبَىٰ اللهُ إلّا أن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَو كَرِهَ الكافِرُون﴾. (التوبة ـ ٣٢)

إنّ هذا الكتاب يتّخذ أهميّة خاصّة بالنسبة للمسلمين في مجـتمعات غير إسلامية وخاصة في المجتمعات الغربية المسيحية. ففي هذه البـلدان يُشّن الآن هجوم سافر أحياناً ومبطّن في أحيانٍ كثيرة ضد كل ما يَمُتُّ إلى الإسلام بصلة. إنّ الكاتبة المـؤمنة ومن خلال هذا الكتاب تـدعو بـني قومها ليأتوا إلى دين التوحيد الخالص الذي تمثله العـقيدة الإسـلامية، وهي في نفس الوقت تشدُّ عـلىٰ أيـدي المسـلمين في أمـريكا الشماليـة خصوصاً وفي غيرها من الدول غير الإسلامية أن يتفهّموا ديـنهم وأن يُحصّنوا أنفسهم ضدّ الجهل بعقيدتهم حتّىٰ لا يُخدعوا ويتزعزع الإيمان في قلوبهم بسبب الضغوط النـفسية والإغـراءات المـادية في بـلاد غـريبة يشعرون فيها بالوحشة والعزلة.

إنّ الاطلاع على العقائد الأخرى يجب أن يتمّ حتّىٰ يكون المسلم على بيّنة عندما يحاول هداية الناس إلى دين الحق. ولكن يجب على المسلم أوّلاً وقبل كل شيء أن يتسلّح بالمعرفة الحقيقية لأسس دينه، وهو دين التوحيد الخالص، قبل أن يشرع في البحث في أصول وعقائد الديانات الأخرى. وبهذا يكون المسلم قد أعطىٰ دينه مايستحقه من الجهد المناسب ويمكن بعده أن يقارنه بالعقائد الأخرىٰ على بصيرة واطّلاع. وكما تقول الكاتبة في معرض ردّها على حملة الكراهية والتشكيك التي تقوم بها بعض المراكز المسيحية المتعصّبة:

«إنّ المسيحيين خائفون... فبدلاً من أن يفتحوا باب النقاش (مع المسلمين) فإنّهم يشنّون هجوماً بغضب جامح».

نعم إن انتشار الإسلام في بلاد الغرب هو أحد الأسباب التي تدعو المتعصّبين إلى القيام بحملة كراهية ضد الإسلام، بل سلوك محاولات ماكرة توجّه نحو المسلمين لكسبهم لصالح العقائد الاخرىٰ.

إن قراءة هذا الكتاب بتمعن تمثّل أحد الوسائل الفعالة لتمكين الإنسان المسلم من الوقوف بوجه المحاولات المعادية والرد عليها بثقة وأمانة وثبات. إنّ الإسلام، كما تقول هذه الكاتبة المجاهدة، هو الذي استعاد دين التوحيد الخالص الذي أضاعته المسيحية وتجنّت عليه اليهودية. ولهذا فهو يقف واضحاً ناصعاً لكل من يريد أن يرى العلاقة الوطيدة بين الدين الحق وبين الحياة والطبيعة والكون الواسع مصداقاً لقوله تعالىٰ:

﴿هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَىٰ وَدِينِ الحقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُون﴾. (الصف / ٩)

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين.

المترجم

كلمة المؤلّفة

أن نكون في سلام مع أنفسنا بخصوص الله: هذه، ببساطة، هي الفكرة وراء هذا البحث كلّه.

إنّ الكثير منّا يعيش حياته راضياً بقبول الأشياء «كما هي»، فنضرب صفحاً عن الأسئلة الصغيرة المنكّدة والشكوك التي تتوارد على أذهاننا وخصوصاً في القضايا المتعلّقة بالدين. نعم إننا نستطيع أن نمضي هكذا في رحلة الحياة، ولكنّنا لانستطيع أبداً أن نصل إلى تلك الحالة من السلام داخل نفوسنا.

والبعض منّا، مع ذلك، لايكتفون أن يأخذوا الأشياء بسطحيّة، فيبحثون بجد عن أجوبة لتلك الأسئلة التي تعترضنا في طريق الحياة. فنحن نضع موضع التساؤل عقائد آبائنا ولسنا مستعدِّين لأن نقنع بالقبول الأعمى. وهذا الطريق ليس من السهل أن نسير عليه بأي حال، ولكن المكافأة هي التي تستأهل منّا هذا الجهد.

لقد نشأتُ كمسيحيّة وترعرعتُ في كنف طائفة بروتستانتيّة تعرف بـ «عقيدة المسيحيّة الإصلاحية» *CHRISTIAN REFORMED FAITH* ورغم الخلفية الدينية الشاملة: صلاة في الكنيسة مرّتين كل يوم أحد وفي العطلات، وتعليم مسيحي خاص يوم الأحد، ومدارس صيفيّة لدراسة الكتاب المقدّس، ومعسكرات دينيّة، ودروس عقائديّة كنسيّة ومجموعات شباب مسيحيّة، فقد وجدتُ نفسي تواجه أسئلة عديدة بخصوص أُسس عقيدتي لم يستطع أيّ شخص ولا أيّة طريقة من التعليم

الديني أن تجيب عليها. ولمدة سبع وثلاثين سنة كنتُ تائهة في ضباب هذا الارتياب بخصوص الله والطريقة الصحيحة لعبادته حتّىٰ استطعتُ في عام ١٩٩١ أن أكتشف الإسلام.

لقد كان نزاع «عاصفة الصحراء» في الشرق الأوسط علىٰ أشدّه. وبجوار كتب إستراتيجية الحروب والأسلحة في مكتبة محلية، كان هناك كتاب صغير عنوانه «فَهْمُ الإسلام» «*UNDERSTANDING ISLAM*». وتصفّحتُ الكتاب بنفس فضول البعض في ذلك الوقت حول هذا الدين «الغامض» من الشرق الأوسط. وتحوّل الفضول بسرعة إلىٰ اندهاش عندما عرفتُ من خلال صفحات ذلك الكتاب أنَّ الإسلام أعطاني الأجوبة لتلك الأسئلة التي كانت تنتابني طيلة تلك السنين ـ ولم أُضيّع كثيراً من الوقت ـ لقد أصبحت مسلمة. وأخيراً فلقد توصّلت إلى ذلك الهدف، وهو أن أكون في سلامٍ داخل نفسي بخصوص علاقتي مع الله. وبما أن الله قد وهبني الإمكانيّة لأن أُعبّر عن نفسي وأفكاري ببلاغة علىٰ صفحات الورق، فانّني أريد أن أُخاطب الآخرين الذين يُعانون من نفس تلك الشكوك التي تطوف في مُخيّلاتهم بخصوص الدين، وآمل أنني ربّما أستطيع أن أُوجّههم نحو بعض الأجوبة. إنَّ المادة التي اقدّمها هنا يمكن أن تفاجئ البعض وربّما تصدمهم عندما يقرؤونها، ولكن البحث عن الحقيقة ليس سهلاً، وخصوصاً في مواجهة العقائد والمبادئ التي اعتنقناها لآمادٍ طويلة.

لقد بدأتُ عملي منذ بعض الوقت بكتابة بعض المقالات:

١ ـ ثلاثة في واحد: نظرة إلى العقيدة المسيحية في التثليث، وقد طُبعتْ في بداية عام ١٩٩٣ من قبل مدرسة شيكاغو المفتوحة *THE OPEN SCHOOL OF CHICAGO*.

٢ ـ مقالة عنوانها: نظرة عن قرب نحو الديانة المسيحيّة، وهي دراسة عن العقائد المسيحيّة.

٣ ـ مقالة عنوانها: حالة في الفساد، وهي دراسة في تحريف النص في الكتاب المقدّس.

وهذا العمل الذي بين يديك يُمثّل تجميعاً لكل ما ذُكر أعلاه مع بحوث إضافية لأنّني واظبتُ على الإكثار من القراءة بين كتابتي الأُولىٰ والأخيرة لمدرسة شيكاغو المفتوحة. وإنّي لآمل في الصفحات التالية أن تُتاح الفرصة للقُرّاء ليُبصروا وجهة النظر حول المسيحية كما تَيسَّر لي أن أفهمها.

باربارا براون

٢٣ آذار ١٩٩٣

المقدّمة

من بين الديانات المختلفة التي توجد في عالم اليوم، هناك ثلاثة أديان تعتبر نفسها توحيدية، أي أنّها عقائد يكون الإيمان فيها مرتكزاً على وجود الإله الواحد.

ونظرة فاحصة على اثنتين من هذه الديانات ـ اليهودية والإسلام ـ تبيّن أن هذا صحيحاً: فكل من اليهود والمسلمين يعبدون إلهاً واحداً الذي هو خالق السماوات والأرض.

أمّا الديانة الأخرىٰ، أي المسيحية، فإنها تواجه مشكلة عندما تتصدّىٰ لتعريف التوحيد، وذلك نظراً لما تلتزم به المسيحية فعلياً.

فبدلاً من أن يجعلوا (الله) مرتكزاً لعقيدتهم، فإنَّ المسيحيّين غيّروا اتجاههم إلى ناحية شخص عيسى الذي يُعرف عندهم بـ«عيسىٰ المسيح».

بالنسبة لليهود فإنَّ عيسىٰ كان ولداً يهودياً لطيفاً، وأما بالنسبة للمسلمين فإن عيسىٰ كان نبيّاً من البشر وهو من أنبياء الله المصطفين. أمّا بالنسبة للمسيحيّين فإن عيسىٰ هو أكثر من ذلك بكثير.

إنّ المسيحية ترتكز أساساً علىٰ شخصية عيسىٰ المسيح، فالدين يأخذ اسمه من عيسىٰ المسيح. وكل المعتقدات المسيحيّة تدور حول عيسىٰ المسيح. الأعياد المسيحية الرئيسية تتعلق بأحداث في حياة عيسىٰ المسيح. ورمز العقيدة المسيحية، وهو الصليب، يشير إلىٰ عيسىٰ المسيح. وصلوات المسيحيين موجهة إلىٰ عيسىٰ المسيح لأنهم يعتبرون ان الله

نفسه لايمكن أن يخاطبه إنسان عادي. وحسب مايقوله المؤلف المسيحي فرتز رايدنور: «إنَّ مفتاح العقيدة المسيحية هو أن عيسىٰ المسيح كان في الواقع السبب في وجودها كُلها، وأنّه هـو الذي يحـافظ عـلى تمـاسكها بأجمعه»[1].

إن كثيراً من المسيحيين اليوم هم غير قادرين أن يفهموا وجـود الله بدون أن يكون عيسىٰ المسيح واقفاً هناك وأمام الله في مواجهتهم. والسيد رايدنور يقول أن المسيحيّة هي «... علاقة مع شخص واحد وهو عيسىٰ المسيح»[2]، وكثير من المسيحيِّين يقفون نفس هذا الموقف:

إنّهم لايعرفون الله بأيّ طريق إلّا من خلال عيسىٰ المسيح.

إنّ المسيحيين يقولون إنهم يعبدون الله إلّا أنّ عيسىٰ هو أيضاً هناك في نفس الوقت. ولأنّهم يرون أنَّ المسيح ـ إضافة إلى الله ـ هو إلٰهي أيضاً، فإنّ المسيحية هي ديانة ذات إلٰهين وليس إلٰهاً واحداً، وإنَّ ديناً له أكثر من إله واحد ليس ديناً توحيدياً.

فكيف حصل هذا؟ كيف غيّرت الديانة المسيحية رسولاً بشرياً من عند الله واعتبرته إلٰهاً بذاته؟

(١) كيف تكون مسيحياً في عالم غير مسيحي، ص ١٧٦.
(٢) نفس المصدر.

ميثاقٌ يُصيبه الانحراف

لأجل أن نفهم الرسالة الحقيقية للمسيح، يجب علينا أن نعود إلىٰ التاريخ قبل ظهور المسيح لنجد لماذا أرسل المسيح أصلاً.

عندما سئم إبراهيم من عبادة قومه للأوثان فانّه ترك بلاده حوالي عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد لتكون له حرية عبادة الله وحده. وكان صعباً عليه أن يترك أُسرته وراءه ولكن الله بارك له في ولدين. ثمّ ان الله بشّره بأنه سيجعل من ولده الأصغر إسحاق شعباً عظيماً (سوف نلقي نظرة في مكان لاحق على وعد الله لابن إبراهيم الثاني إسماعيل).

ورغم هذا المكان السامق لمن وصفوا بـ «شعب الله المختار» فإنَّ اليهود ارتدّوا باستمرار لعبادة الأصنام، فأرسل الله نبيّاً بعد نبي ليحذّر اليهود من غضب الله حيال تصرّفاتهم. وعندما اخفقت النُذُرُ في تغيير الموقف، فإنّ الله أظهر غضبه بطرق أوضح:

فقد جاءت جيوش من بلاد معادية مجاورة وأنزلت الدمار والانتقام في الشعب اليهودي.

ورغم أنّ الله تاب علىٰ اليهود في أوقات متعددة عندما سمعهم يستغيثون طالبين الرحمة، فإنَّ غضبه كان من العنف في عام ٥٨١ قبل الميلاد بسبب استمرار عصيان اليهود بحيث أنّه سمح للبابليين بأن يكتسحوا أرض المملكة اليهودية الجنوبية «يهودا» حيث شرع الملك البابلي نبوخذ نصر وجيوشه بتدمير القدس وحمل اليهود معه سبايا إلى بابل.

أمّا المملكة اليهودية الشمالية فقد لاقت نفس المصير في عام ٧٢١ قبل الميلاد على أيدي الآشوريين.

وبعد تشتّتهم وتحطيم الهيكل، فإنَّ اليهود ركّزوا علىٰ الشريعة. ومرّة أُخرىٰ ٱنحرفوا عن التوحيد، ولكن انحرافهم عن التوحيد في هذه المرّة قد تمَّ تحت غطاء كثيف من الطقوس والشعائر المعقّدة. إنَّ هـذا كـان هـو الموقف السائد في العالم عندما تلقّىٰ عيسىٰ دعوته من الله.

رسالة المسيح

في بداية بعثته وعندما كان عمره ثلاثين عاماً تقريباً، فإنَّ عيسىٰ أوضح أنّ رسالته من الله هي أن يُعيد اليهود إلى الطريق المستقيم:

« إنّ ابن الإنسان قد جاء ليستنقذ ذلك الذي ضاع » (انجيل متّى ١٨ : ١١).

وقد أوضح عيسىٰ كذلك ماذا أراد الله منه أن يفعل:

« ذلك بأنّني لا أتكلّم من نفسي، ولكن الأب الذي أرسلني أمرني ماذا أقول وبماذا أتحدّث » (انجيل يوحنّا ١٢ : ٤٩).

« لا تظنّوا إنني أُرسلتُ لأنسخ الشريعة أو الأنبياء. أنا لم أُرسل لأُدمّر وإنّما أُرسلت لِأُنَفذ » (انجيل متّى ٥ : ١٧).

إنّ دراسة متمعّنة لكلمات المسيح ستُظهر، علىٰ عكس ما يظنّه المسيحيّون، أنّ عيسىٰ لم تكن لديه النّية ليؤسّس ديناً جديداً، وأنّه جاء فقط ليؤكِّد الرسالة التي أوحاها الله لكل الأنبياء من قبله: أنَّ الإنسان يجب أن يطيع قوانين الله وسننه ويعبده وحده.

ولم يدّعِ المسيح في أي وقت أثناء بعثته بأنّه شيء آخر أكثر من كائن بشري يوحي إليه الله. وفعلاً فقد أشار إلى نفسه بأنّه «ابن الانسان» وأوضح جليّاً في عدّة آيات في كل الأناجيل بأنّه ليس إلّا رسولاً من عند الله:

« لماذا تسمّونني كاملاً، فليس هناك كامل إلّا واحد وهو الله » (انجيل

مرقص ١٠ : ١٨).

«إنَّ من يؤمن لي لايؤمن بي أنا، بل يؤمن بالذي أرسلني» (مرقص ٩ : ٣٧).

«إنّ هذه هي الحياة الخالدة أنْ يعرفوك أنت الإله الحقّ وحدك ويعرفوا عيسى المسيح الذي أنت أرسلته» (يوحنّا ١٧ : ٣).

«والآن تريدون أن تقتلوني وأنا إنسان قد أنبأتكم بالحقّ الذي سمعته من الله» (يوحنّا ٨ : ٤٠).

«سأعرج إلى أبي وأبيكم إلٰهي وإلٰهكم» (يوحنّا ٢٠ : ١٧).

ورغم كل جهوده ـ كلمات رائعة تسندها معجزات بيّنة ـ فإنّ المسيح كان قد نُبذ تماماً وخاصة من قبل قومه.

وبعد ثلاث سنين من إعلان بعثته فقد ألقي عليه القبض واتّهم بالتحريض على العصيان والكفر. ولم يحالفه النجاح. في نهاية حياته على هذه الأرض ترك وراءه حفنة من الأتباع لايزيدون على الخمسمائة بأي حال.

ولكن كل ذلك قد تغيّر فجأة عندما ظهر على المسرح واعظٌ ادّعىٰ بأنّه يتكلّم باسم المسيح بعد سنوات قليلة فقط من رحيل المسيح.

المؤسِّس الحقيقي للمسيحية

إنّ أتباع عيسىٰ، والذين سمَّوا أنفسهم «النصارىٰ»، استمروا علىٰ إثارة الجدل أينما ذهبوا بعد رحيل عيسىٰ عن هذه الأرض، وقد فعلوا ذلك باستمرارهم على ترديد كلماته حول المصير المظلم الذي ينتظر اليهود إذا لم يُصلحوا حالهم بسرعة.

وقد دفع أحد هؤلاء النصارىٰ ـ وٱسمه إصطيفان ـ بالأُمور إلى مرحلة خطيرة حين ألقىٰ خطاباً نارياً عندما أُحضر ليحاكم أمام المجلس اليهودي الأعلىٰ ـ السنهدريم ـ. فقام القضاة، وهم يصرخون بغضب حول ما اعتبروه «كفراً»، بسحب إصطيفان هذا إلىٰ خارج المدينة حيث رُجم بالحجارة حتّىٰ الموت.

وهذه القصة يمكن العثور عليها في «الأعمال ـ الفصل السابع ـ في الكتاب المقدّس». وقد شهد إعدام إصطيفان شاب يهودي اسمه شاؤول.

لقد ولد شاؤول في طرطوس غير متأخر كثيراً عن ولادة عيسىٰ نفسه. وقد أصبح شاؤول عضواً في طائفة يهودية تسمّى الفريسيّين (تتميّز بتمسكها الأعمىٰ بالمظاهر والطقوس، المترجم).

إنّ «نسور الشريعة» هؤلاء أصبحوا مدفوعين بالتعصب في ملاحقة «النصارى». وبعد إعدام إصطيفان ابتدأ شاؤول يأخذ دوراً فعالاً جداً في هذا المضمار.

لقد كان أداؤه لهذا الدور من القوة بحيث تمَّ تعيينه لوظيفة رئيس

الوكلاء في القدس، وقد زوّد بالوثائق الضرورية ليتوسع في «التـطهير» إلى المدن المجاورة.

وبعد ما يقارب الخمس سنوات من صعود عيسىٰ إلى السماء كان هذا الشاب المتحمِّس ذو الخمسة والعشرين عـاماً في طـريقه إلى دمشـق ليختطف مجموعة من النصارى ويعود بهم إلى القدس. وفي هذه الأثناء حصلت له رؤيا ادّعىٰ فيها أنّ عيسىٰ ظهر وسأل شاؤول لماذا هو مُصرٌّ على اضطهاده؟

لقد أُعطيت عدّة نظريات حول ماحصل بالضبط لشـاؤول في ذلك اليوم ـ ضربة شمس مثلاً أو هلوسة أو حتّىٰ حالة صرع ـ ولكن ليس هناك شيء مؤكّد عدا أنّ ما حصل قد غيّر مُضْطَهِداً متعصّباً إلى مُبشّرٍ متحمس.

لقد غيّر شاؤول اسمه إلى بولص وساح في الصحاري العربية حـتّىٰ يتمكّن من التفكير حول كيفية المسلك الذي سيسلكه لِيُنفذ ما اعـتقد بأنّه أمر من عيسىٰ ليخرج إلى الناس ويبشّر.

وبالضبط ماذا كان عليه أن يعمل شكّل مسألة عويصة له، لأنّ اليهود رفضوا عيسىٰ ورسالته. ولهذا فإنَّ بولص اعتقد بأنه لايملك فرصة أكثر من المسيح لكسب اليهود. ولذا صمّم على ترك اليهود واستهداف الأميّين (غير اليهود) بدلاً عنهم. وحتىٰ يستطيع أن يفعل ذلك فإنّ تحليلاً فكرياً خلّاقاً من جانبه كان ضرورياً بالتأكيد.

إنّ الرومان والاغريق الذين كانوا يؤلفون السكان غـير اليهـود في العالم الذي عاش فيه بولص كانوا وثنيّين يعبدون وفرة وافرة من الآلهة والآلهات، وإنّ معابد وتماثيل آلهتهم هذه كانت منتشرة في كل مكـان. وكان القانون الروماني يحتّم علىٰ الناس، بـاستثناء اليهـود، أن يـقدّموا

الولاء للآلهة.

وكان بولص يعرف أنّ أناساً لهم هكذا عقائد وثنية عميقة سوف لن يقبلوا فكرة تقول إنّ الرحمة والخلاص يمكن أن تأتي على يدي فرد من البشر يعتبر فقط شخصاً مستقيماً وإنساناً صالحاً. فإذا أراد بولص نتائج سريعة لمهمّته، فإنّه كان يعرف أنّه يجب عليه أن «يُلطّف أو يعدّل» الأمور قليلاً آخذاً بنظر الاعتبار ثقافة السكان غير اليهود.

يخبرنا بول ماير في كتابه «المسيحيّون الأوائل» بأنّه كانت قد انطوتْ ثلاث عشرة سنة بين الوقت الذي «تلقّى فيه بولص دعوته» والوقت الذي ابتدأ فيه بالتبشير. وخلال هذه السنين الثلاث عشرة، فإنّ ذهن بولص الوقّاد قد أفاد كثيراً من هذا الوقت الإضافي. وعندما عاد في النهاية إلىٰ دمشق فإنه رجع مسلّحاً بمعرفته بأنّ غير اليهود سوف يطالبونه بإلهٍ ملموس في دينهم الجديد، وكان بولص مستعداً أن يُعطيه لهم.

لقد كان نجاح بولص ساحقاً في جهوده التبشيرية اللّاحقة خصوصاً مع التنازلات التي أعطاها لغير اليهود. وبالرغم من أنّ الديانة المسيحية تأخذ اسمها من عيسىٰ المسيح، فإن بولص الطرطوسي يجب أن يعتبر هو مؤسسها الحقيقي لأنّه الشخص الذي اختمرتْ في ذهنه كل عقائدها وأقام كنائسها في كل العالم المعروف في زمانه. والمسيحيون لاينكرون ذلك أيضاً: «ليس هناك شخص في التاريخ المسيحي يمكن أن يُضاهي أو أنّ له ذلك التأثير الهائل مثل ذلك الذي لشاؤول الطرطوسي»[٣].

ففي كتابه «المئة: تقييم الأشخاص الأكثر أهمية في التاريخ» فإنَّ

---

(٣) الإسلام مكشوفاً، ص ١٢٩.

المؤلف مايكل هارت يوافق علىٰ ذلك بقوله:

«ليس هناك شخص لعب دوراً مــن الضـخامة كـالدور الذي لعـبه بولص في إشاعة المسيحية»[٤].

ولكن هناك مشكلة كبيرة في هذه الصورة علىٰ أية حال، وهــي أنّ تعاليم بولص، المؤسس الحقيقي للمسيحية، لايمكن العثور عـليها في أي مكان من تعاليم عيسىٰ أو في تعاليم الأنبياء الّذين سبقوه. ليس هذا فقط ولكن بولص لم يكن له إلّا اتصال قليل مع الحواريّين الحقيقيين لعيسىٰ والّذين كان من المـمكن أن يوجّهوه إلى الطـريق الصـحيح. فـهؤلاء لم يكونوا علىٰ وفاق مع تعاليم بولص المبتكرة وأخبروه بذلك كلّما كان ذلك ممكناً. وفي النهاية، علىٰ أي حال، فإنَّ نوع المسـيحيّة التي نـادىٰ بهـا بولص إنّما أحرز فيها النجاح بفضل شخصيته الساحرة إضافة إلى حقيقة أنه وأصحابه غلبوا الحواريين الحقيقيين لعيسىٰ في أُمور مهمّة كالوجاهة الاجتماعية والثروة والتعليم، ولذلك حصل علىٰ أتباع كثيرين مـن بـين السكان غير اليهود. فالمسيحية ـ اليهودية، أي عقيدة حواريي عيسىٰ، لم تكن لها أيّة فرصة للنهوض.

والآن دعونا نلقي نظرة من قريب على كل البدع التي أدخلها بولص في «ديانته» المسيحية.

(٤) المئة: تقييم الأشخاص الأكثر أهمية في التاريخ، ص ٦٢.

عقائد المسيحيّة

١ ـ ابن الإنسان أو ابن الله؟

إذا نظرنا إلى «عقيدة الألوهية» فإنها تقول ببساطة أن عيسىٰ هو ابن الله، كلمة الله تحوّلت إلى جسد.

ورغم أنّ عيسىٰ نفسه، كما ذُكر سابقاً، لم يدّعِ أبداً أنه «إلٰهي» فإنّ بولص أعطاه هذه الصفة لسببٍ واحد:

ليحصل علىٰ معتنقين من بين غير اليهود.

فالأميّون ـ غير اليهود ـ كانوا وثنيين درجوا علىٰ عبادة آلِهَة وراءها أساطير وخرافات عجيبة. فعدد من آلهة الوثنيين في ذلك الوقت ـ مثراس، وأدونيس، وآتيس وأوزيريس مثلاً ـ كانوا جميعاً من سلالة إلٰهٍ مسيطر حاكم، وكل منهم مات ميتة عنيفة في عمر صغير ورجعوا إلىٰ الحياة بعد مدة قصيرة حتّىٰ يُخلّصوا شعوبهم.

لقد أخذ بولص ذلك بنظر الاعتبار مُعطياً الوثنيّين شيئاً مشابهاً في المسيحية: لقد أعطىٰ الألوهية إلىٰ عيسىٰ قائلاً بأنه كان ابن الله (المسيطر) وأنّه هو أيضاً مات من أجل خطاياهم.

وبعمله هذا فإنَّ بولص «وفّق» بين تعاليم المسيح وبين الاعتقادات الوثنية حتّىٰ يجعل المسيحيّة أكثر قبولاً عند الوثنيّين.

إن بولص لم يذكر، بالطبع، الأُصول الوثنيّة لهذه العقيدة.

إن الذي يعلم هذه الحقيقة هو فقط الشخص الذي يُجري بحثاً حقيقيّاً

وفي ذلك الوقت من التأريخ حول الناس وثقافاتهم.

إنّ بولص برر هذه العقيدة بطرق أُخرىٰ، وعلىٰ وجه الخصوص فانّه كان يعتقد أنّ هناك خمسة أسباب تبرّر اعتبار عيسىٰ إلٰهاً:

١ ـ إنَّ عيسىٰ ولد من عذراء دون «واسطة» أب.

وحول هذا فإننا نستطيع أن نذكر قضيّة آدم وهو الإنسان الأول. لقد ولد آدم دون واسطة أُم أو أب ورغم ذلك فإنه لايعتبر إلٰهاً.

٢ ـ إنَّ عيسىٰ أظهر معجزات.

وجواباً علىٰ ذلك فإننا نستطيع أن نذكر موسىٰ والنبي اليشع، فالاثنان أظهرا معجزات مُذهلة، ولكن لايعتبر أي منهما إلٰهاً.

وحقيقة أنّ عيسىٰ أظهر بعض المعجزات ليست في الواقع دليلاً علىٰ الألوهية كما أشار هو إلى ذلك مراراً عندما حصلت هذه الظواهر، وقال إنّ القدرة على إظهار هذه الأعمال الخارقة قد جاءت من الله وليس منه. إنّ معجزاته جاءت لنفس الغرض الّذي جاءت لتؤكّده معجزات الأنبياء الّذين سبقوه: لتُعطي المصداقيّة لرسالته التي جاء بها إلىٰ أناس معاندين.

٣ ـ إنّ عيسىٰ ذو شخصيّة لا نظير لها.

ويمكن الرد على ذلك بالإشارة إلى عدد من الأمثلة في الأناجيل.... مثل تسميته لبطرس بـ«الشيطان» (انظر انجيل متّى ١٦ : ٢٣)، ووصفه للآخرين بـ«الأفاعي وأولاد الحيّات» (انجيل متّى ٢٣ : ٣٣). وقد حصل ذلك منه بعد أن قال في وقت سابق (انجيل متّى ٥ : ٢٢) إنّ استعمال النعوت الجارحة يعتبر من الأخطاء. وهذا يثير شكوكاً حول هذه الصفة (صفة الشخصية التي لا نظير لها ـ المترجم) علىٰ الأقل فيما يتعلق بالشخصية التي ترسمها الأناجيل لعيسىٰ.

٤ ـ إنّ عيسىٰ قام من بعد الموت.

نعم إنّ «الانتصار على الموت» عمل كبير، ولكن ماذا عن النبيّ إيليَّا الذي لم يمت أبداً بل رفع إلى السماء في عربة من النور والنار؟ (٢ الملوك ٢ : ١١) هذا عمل فذٌّ ومذهل تماماً ورغم ذلك فإنّه لايعتبر إلٰهاً.

وأخيراً فإن المسيحيين يقولون:

٥ ـ إنّ عيسىٰ قد تنبّأت به التوراة (العهد القديم).

فالمسيحيون يُسارعون إلى الإشارة إلى جزء عيسايا ٥٣ كنبوءةٍ علىٰ مجيء عيسىٰ ورسالته إلىٰ البشرية. المشكلة هنا، مع ذلك، انّه ليس هناك اسم ذكر في هذا الفصل. وبدون اسم مُعيّن بالذات، فمن يدري بالضبط عمّن يتكلّم هذا الفصل؟

مصطلح «ابن الله»

إنّ عبارة «ابن الله» لم تكن شيئاً جديداً علىٰ أية حال. فقد استخدمت في العهد القديم لتشير إلىٰ داود (سفر المزامير ٢ : ٧) وابنه سليمان (سفر التواريخ ٢٢ : ١٠) والإشارة إلى آدم (انجيل لوقا ٣ : ٣٨) في العهد الجديد.

وفي خطبته الشهيرة «موعظة علىٰ الحيل» كما جاء تفصيلها في انجيل متّى الجزء الخامس، فإنّ عيسىٰ يخبر مُستمعيه: «تبارك الذين يصنعون السلام لأنّهم سيسمَّون أبناء الله».

وفي كل هذه الأحوال، فإن تعبير «ابن الله» لم يكن يُقصد به التفسير الحرفي، ولكن ليبرز الحب والحنان من الله تجاه المتّقين والصالحين. فـ«ابن الله» تعني زُلفىٰ خاصة من الله ولا يقصد بها علاقة عضوية مع

الله. وعموماً فإنَّ كل إنسان هو ابن الله لأن الله هو خالق الحياة[٥].

مصطلح المسيح

وهناك تعبير آخر يستخدمه المسيحيون لإسناد نظريّتهم حول ألوهية المسيح وهو مصطلح «المسيح» (انظر إنجيل يوحنّا ١ : ٤١). وكلمة «المسيح» هي كلمة عبرية تعني «الذي مسح الله عليه» (والمسح هنا يكون عادة باليد ـ المترجم).

وكلمة كريست *CHRIST* هي ببساطة الترجمة اليونانية لهذه الكلمة العبرية. فـ«المسيح» أو *CHRISTO* بالعبرية أو اليونانية تعنيان نفس الشيء: «مَنْ مسح الله عليه».

وهذا المصطلح، على كل حال، لم يُطلق على عيسىٰ وحده، فقد أطلق علىٰ آخرين قبله. ففي سفر المزامير ٢ : ٢ أُطلق لفظ «المسيح» على داود، وفي أشعياء ٤٥ : ١ أُطلق هذا اللفظ على كُورُش (الملك الفارسي ـ المترجم). لقد اعتقد اليهود بأنّ ملوكهم كانوا «مسيحيّين» بمعنىٰ أنّ الله قد مسح عليهم مجازاً. وكل مفهوم «المسيح» هو من اليهود ويُطلق علىٰ مُخلّص قومي يعتقدون أنه وبمساعدة إلٰهية سينقذهم من اضطهاد غير اليهود. وهذا المصطلح لم تصاحبه صفة الألوهية عندهم.

مصطلح المُخلِّص *SAVIOUR*:

وآخر المصطلحات التي يستخدمها المسيحيون هو تعبير «المخلّص»

---

(٥) وقد جاء في الحديث الشريف: كل الخلق عيالُ الله وخيرهم عند الله خيرهم لعياله (المترجم).

(أو المنقذ ـ المترجم). وفي هذه الحالة أيضاً فإنّ عيسىٰ لم يكن أول من أُطلق عليه هذا النعت.

فعندما شنّت سوريا الحرب على المملكة اليهودية، طلب الملك يهواهاز من الله العون. وحسب ماجاء في ثاني سفر الملوك ١٣ : ٥ فإنّ الله أجابه: «إنَّ الرب أعطىٰ لبني إسرائيل مخلّصاً حتى يستطيعوا أن يتخلّصوا من أيدي السوريين». ولمّا ارتقى يهواش، ابنه، العرش فإنّه فعل كما وعد الله. وفي ثاني سفر الملوك ١٣ : ٢٥ فإنّ يهواش أصبح مخلّص شعبه لأنّه هزم السوريين واستعاد مدن مملكة اليهود الشمالية..

فتعبير «المخلّص» لم تصاحبه صفة الألوهية هو الآخر.

استخدام الترجمات المغلوطة

ولو ضربنا صفحاً عن الأسماء، فإن طريقة أُخرى يستخدمها المسيحيون للبرهان علىٰ ألوهية المسيح هي طريقة الترجمة المغلوطة لمختلف النصوص في الكتاب المقدّس.

ولديهم نصّان أثيران يُحبّون أن يستشهدوا بهما في هذا الصدد:

١ ـ الأوّل نجده في إنجيل يوحنّا ١٠ : ٣٠ يقول عيسىٰ فيه: «أنا وأبي شيء واحد».

واستخدام المنطق في هذه «الآية» يوضّح أن المقصود هو أن عيسىٰ يتكلّم باسم الله، وليس أنّه الله. إنّ عيسىٰ والله لديهما وحدة في الهدف وليس في الجوهر. والمسيحيّون سيحسنون صُنعاً إذا نظروا مرّة أُخرى إلى إنجيل يوحنّا الفصل ١٧ علىٰ سبيل المثال. فالمسيح عندما يصلّي، كما جاء في هذا الفصل، فإنَّ كلماته لاتدع مجالاً للشك في حقيقة أنه ليس إلّا

عبداً لله.

وتأكيداً لهذه الفكرة، أي فكرة الوحدة في الهدف وليس وحدة الجوهر، ننظر إلى عدة آيات نجدها في الفصل السابع عشر من انجيل يوحنّا وأوّلها ١٧ : ٨. وهنا يقول المسيح:

«إنّني أعطيهم الكلمات التي أنت أعطيتني إيّاها... وأنّهم يعتقدون أنك أنت الذي أرسلتني».

وفي انجيل يوحنّا ١٧ : ١١ هناك تأكيد آخر على وحدة الهدف لأن عيسىٰ يقول:

«أيّها الأب المقدّس احفظ باسمك أولئك الذين أعطيتني إياهم حتّىٰ يكونوا كلّهم كشخص واحد، كما نحن».

وهذه الفكرة عن وحدة الهدف تُعاد مرة أُخرى في انجيل يوحنّا ١٧ : ٢١ ـ ٢٣.

وباختصار، فإنّ كلام يوحنّا ١٠ : ٣٠ هو ليس تصريحاً من عيسىٰ لإثبات أُلوهيته ولكن للتعبير عن اتحاد مع الله في الغاية كما يمكن ملاحظة ذلك من الآيات السالفة من انجيل يوحنّا ١٧.

٢ ـ النّص الأثير الآخر الذي يستشهد به المسيحيون هو الآية ١٤: ٩ من انجيل يوحنّا وفيها يقول المسيح لفيليب: **«من رآني فقد رأىٰ الأب».**

والمسيحي الذي يتخذ من ذلك تأكيداً من المسيح علىٰ أُلوهيته يجدر به أن ينظر إلى الآية ٥ : ٣٧ في انجيل يوحنّا وفيها يقول عيسىٰ:

«إنّ الأب نفسه الذي أرسلني قد شهد لي. أنتم لاتسمعون صوته في أي وقت ولا ترون هيئته».

وإذا لم يقتنع بذلك، فإن المسيحي يمكن أن يتثبّت من ذلك إذا رجع إلى كتاب العهد القديم في سفر الخروج في الفصل ٣٣ آية ٢٠ حين يقول الله لموسىٰ:

«أنت لاتقدر أن ترىٰ وجهي وذلك لأنّ الذي يرىٰ وجهي لايستطيع أن يعيش».

وأفضل طريقة للنظر في الآية ١٤ : ٩ من انجيل يوحنّا هي بالمعنىٰ المجازي: بما أن عيسىٰ كان يتلو كلام الله. فإنَّ النظر إليه والاستماع إلى كلامه كان بمثابة حضور الله في ذلك الحين. إنَّ عيسىٰ كان يُنفّذ أمر الله... إنّه لم يكن الله في الحقيقة، وهذا مايبدو بوضوح تام في الآية ٨ : ١٩ من إنجيل يوحنّا وفيها يقول عيسىٰ: **«لو كنتم تعرفونني لعرفتم أبي أيضاً»**.

وهناك آيات أُخرى، بالطبع، يلجأ إليها المسيحي في محاولاته التي يعزي فيها الألوهية لعيسىٰ ولكنها كُلّها لايمكن أن تعتبر أكثر من ترجمة مغلوطة من جانبه وتنمّ عن رغبة في قراءة أو رؤية شيء هو في الواقع لا وجود له.

ويكفي أن نُلقي نظرة علىٰ الآية ١٧ : ٣ من انجيل يوحنّا لنرىٰ أن عيسىٰ لم يكن يدعو إلى رسالة جديدة فهو هاهنا يقول:

«إنّ الحياة الأبدية هي في أن يعرفوك أنت الإله الحقّ الأوحد، وأن يعرفوا عيسىٰ المسيح الذي أنت أرسلته».

ففي هذه الآية يخبرنا المسيح أننا يجب أن نؤمن بالله الواحد الحقّ فقط وأنّه هو، عيسىٰ المسيح، رسول فقط أرسل من قبل الله.

هل ٱدّعىٰ المسيح حقّاً قائلاً انّه كان إلٰهاً ؟

يُسارع المسيحيون بالإشارة إلى التلميحات العديدة التي يصف فيها عيسىٰ نفسه بأنه «ابن الله» في إنجيل يوحنّا. ومن جهة أُخرى فإنّهم يميلون إلى إهمال التلميحات العديدة الأُخرىٰ في نفس الإنجيل عندما يصف عيسىٰ نفسه بأنّه «ابن الإنسان».

وهذا يشير بوضوح، مرة أُخرى، إلى حقيقة أن عبارة «ابن الله» ما كان يُقصد بها المعنىٰ الحرفي. إن عيسىٰ كانت له زُلفىٰ خاصة عند الله... انّه كان طفلاً لله بنفس المعنىٰ الذي نحن فيه جميعاً أطفال الله.

وفي الآية ١٦ : ١٣ من إنجيل متّى، يسأل عيسىٰ الحواريّين من يظنّون أنّه هو؟ والمسيحيّون يذهبون إلى جواب بطرس الموجود في الآية ١٦: ١٦ من إنجيل متّى التي يجيب بطرس فيها: «إنّك أنت المسيح ابن الله الحي». ومن المدهش أنه في ذكر نفس الواقعة تقول الآية ٨: ٢٩ من انجيل مرقص إنّ جواب بطرس كان: «إنك أنت المسيح».

كلمات قليلة أُضيفت في إنجيل متّى مقارنة بإنجيل مرقص ولكن ذلك أضاف تغييراً إلى كل معنىٰ الكلمات. والأكثر إثارة للدهشة، على كل حال، هي نقطة يميل معظم المسيحيين إلى غضّ النظر عنها وردتْ بعد عدّة آيات في انجيل متّى ١٦. ففي الآية ٢٠ ـ وكذلك في الآية ٨: ٣٠ في إنجيل مرقص ـ يقول عيسىٰ للحواريّين إنهم يجب أن لا يُخبروا أي إنسان آخر بأنه هو المسيح. فلماذا لم يُرد أن يعرف الآخرون ذلك ؟

ماذا استطاع بولص أن يحرز؟

بقوله إنّ عيسىٰ كان إلٰهاً، فإنَّ بولص استطاع أن يتقرّب إلى الجماهير (غير اليهودية ـ المترجم) في عبارات كانت مألوفة لديها جيّداً وكان

نجاحه لذلك مؤكَّداً. إن حماسه وشخصيّته الجذّابة مُضافين إلى استعداده التام ليضع حلّاً توفيقيّاً بين الرسالة الحقيقيّة لعيسىٰ وبين العقائد الوثنية قد قادته لأن يخلع صفة «البُنوّة الإلٰهية» علىٰ عيسىٰ.

وهذه عقيدة مشكوك فيها علىٰ أحسن الفروض، لأنّ «البُنوّة» تصف شخصاً قد خُلِق بينما «الإلٰهية» تصف كائناً أزليّاً في طبيعته.

وفي وقت لاحق فإنّ قادة الكنيسة فكّروا بطريقة أنيقة يُنهون بها هذا اللّبس بقولهم أنّ عيسىٰ كان هو الله ـ مجسّداً على هيئة إنسان ـ وهو كائن أزلي «اختار» أن يُصبح إنساناً في رحم مريم. أي أنّ عيسىٰ ـ بكلمة أُخرى ـ له طبيعتان: إلٰهية وبشرية وقد تمّ اتّحادهما في شخص واحد. وربّما كانت نيّة رجال الكنيسة حسنة، ولكن مقولتهم هذه قادت فقط إلىٰ التباسٍ أكثر.

وجهة نظر الإسلام

إنّ القرآن يقول، متفقاً مع الكتاب المقدس، بأنّ عيسىٰ وُلد بدون واسطة أب من بني البشر. إلّا أنّ هذا لايعني أنّ عيسىٰ كان إلٰهاً. إنّ ذلك يظهر ببساطة أنّ الله ـ الذي هو أوجد قوانين الطبيعة في الأصل ـ هو قادر أيضاً علىٰ أن يُعطل هذه القوانين حسب مشيئته.

فإذا كان عيسىٰ هو حقّاً ابن الله «... فإنّه يكون شريكاً في الربوبية وفي الطبيعة الإلٰهية، وفي هذه الحالة فإنّ الله يكون مولوداً ويمكن ولادته وولد وعاش كإنسان ومات».

إنَّ هذه الفكرة من السخف بحيث أنّها لا تستحقّ الاعتبار. إنَّ الاسلام يقف بقوة وراء العقيدة القائلة بانّ عيسىٰ كان فقط رسولاً بشرياً أوحىٰ إليه الله:

﴿... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ...﴾ (النساء ـ ١٧١).

والقول بأنّه كان إلٰهاً ينضح بالشرك الذي يناقض فكرة توحيد الله:

﴿... إِنَّمَا اللهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ...﴾ (النساء ـ ١٧١).

إنَّ عقيدة تمتدّ جذورها في الوثنيّة وتتّجه أيضاً بعكس فكرة وحدانية الله ليس لها مكان في دين يدّعي بأنّه يؤمن بإلٰهٍ واحدٍ.

٢ ـ ثلاثة في واحد

إنّ عقيدة التثليث تنصّ ببساطة أنّ الأُلوهية تتكوّن من ثلاثة كائنات إلٰهية: الله الأب، وعيسىٰ الابن وروح القدس.

إلى جانب الإيمان بعيسىٰ، فإنّ مبدأ التثليث هو واحد من أهم المرتكزات الأساسية للمسيحيّة التي عليها يستند باقي العقائد المسيحية[٦].

فكرة التوحيد

إنّ قاموس العالم الجديد لويبستر يُعرّف «التوحيد» بأنّه «العقيدة أو المذهب القائل بأنّ هناك إلٰهاً واحداً فقط»[٧].

إنّ الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام كُلّها تدعي أنّها تشارك في هذا المفهوم.

وقد أكّد موسىٰ هذا المفهوم في فصل من التوراة يسمّى الـ«شيما» أو

---

(٦) هذه هي الكنيسة الكاثوليكية، ص ٤.

(٧) قاموس العالم الجديد لويبستر، ص ٨٧٩.

العقيدة اليهودية في الإيمان:

«اسمعوا يا بني اسرائيل: الربُّ إلٰهنا هو إلهٌ واحِدٌ» (سفر تثنية الإشتراع ٦ : ٤).

وبعد مرور مايقرب من ١٥٠٠ سنة فإنّه أعيد حرفيّاً من قبل عيسىٰ عندما قال:

«... الوصيّة الأُولىٰ من بين كل الوصايا هي: اسمعوا يا بني إسرائيل إنّ الربَّ إلٰهنا هو إله واحد» (مرقص ١٢ : ٢٩).

وعندما بُعث محمّد (ص) بعد ستمائة سنة من رحيل المسيح فإنّه جاء بنفس الرسالة مرة أُخرىٰ عندما قال:

﴿وإلٰهُكُمْ إلهٌ واحِدٌ لا إلٰهَ إلّاَ هُوَ... ﴾ (البقرة ـ ١٦٣).

والمسيحية قد آنحرفتْ عن عقيدة توحيد الله، على أية حال، في مذهبها المُبهم والغامض وهو مذهب التثليث. كيف يكون الله واحداً عندما يُضاف عيسىٰ وروح القدس إلى الصورة؟

تأثير بولص والجمهور الأُممي (غير اليهودي)

وبالرغم من أنّ هذا المبدأ ـ التثليث ـ لم يُوضع رسمياً من قبل بولص، إلّا أنه ليس هناك شك بأنّ هذا المذهب لم يكن بعيداً عن تفكيره: فإذا كان قد صنع من عيسىٰ ابناً إلهيّاً، فإنّ من المنطق أنّ الحاجة تدعو إلى أبٍ إلٰهي. كما دعت الضرورة لوضع الترتيبات لأخذ روح القدس في الحسبان والذي كان بولص يعتقد أنّه الواسطة لجلب وحي الله إلى الإنسان.

وجوهرياً فإنّ بولص سمّىٰ المكوّنات الأساسية ـ للتثليث ـ ولكن

الكنيسة لم تضع المذهب بصورته النهائية إلّا في القرن الرابع للميلاد.

وكما هي الحال مع عقائد أُخرىٰ اقترحها بولص للمسيحيّة فإنّ مبدأ التثليث الإلٰهي هو أيضاً له جذور في العقائد الوثنيّة، فإن عبادة النمرود، التي بدأت في بابل، كانت باقية حيّة وقائمة في زمن بولص: فالنمرود الذي كان شابّاً وسيماً ـ وقد تزوّج من أُمّه ـ كان يُنظر إليه كإلٰهٍ من قبل قومه، وقد اعتقدوا بأنّ بَعَل، إلٰه الشمس، كان والده. وعندما مات النمرود في عمر مبكّرٍ فإنّ أُمّه أصبحتْ هي رئيسة الطائفة، وهي التي جاءت بفكرة أنّ ٱبنها استمر في الحياة كروح.

وهكذا فإنّ أوّلَ تثليث كان قد ابتدع: بَعَل (الأب الإلٰهي) وأُم النمرود والنمرود الابن الإلٰهي.

ومن المحتمل جدّاً أنّه من هذه الأساطير كان بولص قد جاء بفكرته التثليثية عن كائنات إلٰهية تختص بالمسيحية.

التثليث في الكتاب المقدّس

هنالك إشارتان في الكتاب المقدّس إلى ثلاثة كائنات إلٰهية، وكلتاهما يشوبهما الغموض علىٰ أحسن الفروض:

١ ـ الإشارة الأُولىٰ نجدها في إنجيل متّى ٢٨ : ١٩.

هنا يقول عيسىٰ للحواريين: «اذهبوا بعيداً وعلّموا كلّ الشعوب وعمّدوهم باسم الأب والابن وروح القدس».

وهناك بعض المشاكل في هذا النص علىٰ أي حال:

أ ـ بينما يذكر النص الأشخاص الثلاثة الذين وضعوا متأخراً في التثليث المسيحي، ولكنه لايقول شيئاً عن أنّ الثلاثة أشخاص هم جزء

من كائن إلٰهي واحد.

ب ـ إذا نظرنا لسرد آخر لنفس الحادث... «المهمّة الكبيرة» في إنجيل مرقص ١٦ : ١٥ فإنَّ عيسىٰ يقول: «اذهبوا أنتم إلىٰ العالم واْتلوا الإنجيل لكلّ إنسان». فمن أين جاءت الكلمات الإضافية التي نجدها في إنجيل متّى؟

ج ـ إنّ المعمدانية في أيّام الكنيسة الأُولىٰ كانت تعطىٰ فقط باسم عيسىٰ كما يؤكد ذلك بولص في رسائله المختلفة.

٢ ـ والإشارة الثانية نجدها في الجزء الأول من إنجيل يوحنّا ٥ : ٧ عندما نقرأ: «فإنّ هناك ثلاثة في سجل السماء: الأب والكلمة وروح القدس: وهؤلاء الثلاثة هم واحد».

فبينما تكون هذه إشارة أوضح إلى ثلاثية إلٰهية، فإنّ الباحثين في الكتاب المقدّس اعترفوا في القرن التاسع عشر بأنّ الكلمات «الأب والكلمة وروح القدس» هي استنتاجات، وأن نصّاً بهذا لم يُعثر عليه في النسخ القديمة من الكتاب المقدّس. وهذه الكلمات، تبعاً لذلك، لاتوجد في نسخ الكتاب المقدّس المعاصرة.

وما عدا هاتين الإشارتين ـ واحدة غامضة والأُخرىٰ إضافة معترف بها إلى النص الكتابي ـ لاتوجد أيّة إشارة من أي نوع في الكتاب المقدّس إلى الثالوث.

وباختصار فإنّ فكرة التثليث في المسيحية ـ الله الأب وعيسى الابن وروح القدس وهو الكائن الذي يقود بني البشر ـ لم يتكلّم بها عيسىٰ ولا أيُّ نبيّ قبله.

إنّ جذور هذه العقيدة كانت موجودة في الديانات الوثنية حتّىٰ إذا

ضربنا صفحاً عن حقيقة أنّ بولص في أثناء نشاطه التبشيري كان قد وضع المكوّنات الضرورية لتأليف الثالوث في المسيحيّة، وكل ماتبقّىٰ بعد ذلك هو أن وضع رجال الكنيسة هذه المكوّنات مع بعضها مقدّمين للأجيال اللّاحقة ماكان تحديداً مبدأً من صنع البشر على أنّه إحدىٰ الركائز الأساسية للعقيدة المسيحية.

المسيحية المبكِّرة

يعتبر ترتوليان، وهو قسٌّ ومحام في كنيسة قرطاجة، أوّل مَن استخدم كلمة ثالوث أثناء القرن الثالث عندما وضع النظرية القائلة بأنّ الابن والروح يشاركان في كيان الله ولكنهم جميعاً من كائن واحد من نفس تكوين الأب.

وقد استمر الجدال طويلاً حول هذه المسألة بين قادة الكنيسة الكبار: فبعضهم أيّد ترتوليان بأنّ الثالوث يتألف من ثلاثة أشخاص متميّزين أو ثلاثة جواهر، بينما ٱدّعىٰ الآخرون أنّ الثالوث ماهو إلّا ثالوث رؤيا (أو وحي) وأنّ عيسىٰ كان رجلاً ملهماً بروح الأب التي كانت حالّة فيه.

وقد وجد الإمبراطور قسطنطين نفسه معنيّة بالنزاع في عام ٣١٨ بعد الميلاد عندما أخذ النزاع حول الثالوث يتفاقم بين رجلين من كنيسة الإسكندرية: أريوس الشماس وإسكندر المطران.

مجلس نيقية

إنّ الإمبراطور قسطنطين حاول أن يحلّ الإشكال بين الرجلين. فرغم أنّه لم يكن واثقاً من عقيدة الكنيسة ولكنه كان متأكداً من أنّ كنيسة موحدة كانت ضرورية لمملكة قويّة. وعندما فشل المطران الذي عيّنه

قسطنطين في فضّ النزاع، فقد دعا الإمبراطور إلىٰ عقد أوّل مجمع مسكوني في تاريخ الكنيسة، وقد تمّ ذلك في عام ٣٢٥ ميلادية في مدينة نيقية في آسيا الصغرىٰ.

وقد حضر الاجتماع ٣٠٠ من المطارنة. وبعد ستّة أسابيع من النقاش فقد تمّ تشكيل عقيدة التثليث: إنّ الله الذي يعتقد به المسيحيون قد صوّر علىٰ أنّه يمتلك ثلاثة جواهر ـ أو طبيعات ـ في هيئة الأب والإبن وروح القدس. فالعقيدة التي خرج بها المجمع نصّتْ علىٰ مايلي:

«نحن نعبد إلٰهاً واحداً في الثالوث، والثالوث في التوحيد لأنّ هناك شخصاً للأب وآخر للابن وآخر لروح القدس. إنّهم ليسوا ثلاثة آلهة ولكن إلٰه واحد. فكل الأشخاص الثلاثة هم أزليون معاً ومتساوون معاً، وهكذا فإنّ الإنسان الناجي هو ذلك الذي يعتقد بالثالوث»[٨].

ولكن المسألة لم تكن قد انتهت رغم الآمال الكبيرة التي علقها الإمبراطور علىٰ انعقاد المجمع، فإنّ أريوس ومطران الاسكندرية الجديد واسمه أثاناسيوس شرعا في الجدال حول المسألة حتّىٰ عندما كانت عقيدة نيقية في طور التوقيع.

وهكذا أصبحت الأريوسية شعاراً منذ ذلك الحين لكل من لايُقرّ بالاعتقاد بنظرية الثالوث.

مكتوب في الصخر

في عام ٤٥١ للميلاد وفي مجمع خلقيدونيا المسكوني تمّ إقرار عقيدة نيقية ـ القسطنطينة على أنّها موثوقة رسميّاً ولا تقبل المناقشة. والكلام

---

(٨) مقتطفات من عقيدة أثاناسيوس.

ضدّ الثالوث يعتبر كفراً ومن يقترفه يستحق حكماً يتراوح بين التشويه والموت. وهكذا فقد استدار المسيحيّون ضد المسيحيّين يشوّهون ويذبحون الآلاف بسبب الاختلاف في الرأي.

ورغم أنّ العقوبات القاسية التي مورست في أوقات سابقة قد توقفت الآن، فإنّ الجدل حول عقيدة التثليث استمرّ حتّى وقتنا الحاضر. علىٰ أيّة حال فإنّ غالبية المسيحيين لايبالون بهذا الجدل ويقفون بثبات وراء هذا المعتقد الأساسي من ديانتهم.

أساس منطقي أو لا عقلانية

إنّ التثليث قد يكون معتقداً أساسياً للمسيحيّة ولكنه لايستند إطلاقاً علىٰ قاعدة من الكتاب المقدّس... إنّه من عمل الإنسان أصلاً. وهو مثل آخر على الكيفيّة التي اقتبست بها العقائد الوثنية في الدوغما (العقيدة) المسيحيّة من أجل أن تُصبح المسيحيّة أكثر استساغة لأقوام وثنيين.

والأغلبية من المسيحيين عندما يطلب منهم أن يفسروا هذا المعتقد لايستطيعون أن يجيبوا بأكثر من «إنّني اعتقد بهذا لأنّني أُمرت أن أعتقد به»، وهم يفسّرونه بأنّه «سرٌّ» (من أسرار الدين يعرفه المرء بالإلهام وحده ولا يستطيع أن يفهمه فهماً كاملاً ـ المترجم).

هذا بالرغم من أنّ الكتاب المقدّس يقول في الجزء الأول من سفر الكورنثيون ١٤ : ٣٣: «... إنّ الله ليس هو خالق التشويش والارتباك».

وحتّىٰ مؤسس هذا المعتقد واجه بعض الإشكالات في فهمه: فقد قيل إنّ أثاناسيوس، وهو المطران الذي صاغ معتقد الثالوث، قد اعترف بأنّه كلما كتب أكثر حول هذه المسألة أصبح أقل قدرة علىٰ التعبير بوضوح عن أفكاره بخصوصها.

النظرة الإسلامية

حين تكون لدى المسيحية مشكلة في تحديد جوهر الله، فليس الأمر كذلك في حالة الإسلام:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الّذينَ قَالُوا إنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثةٍ وَمَا مِنْ إلٰهٍ إلّا إلٰهٌ واحِدٌ﴾ (المائدة ـ ٧٣).

إنّ المؤلفة المسلمة الأمريكية سوزان حنيف تعبّر عن المسألة بإيجاز رائع حين تقول:

«... إنّ الله ليس مثل فطيرة أو تفاحة يمكن تقطيعها إلى ثلاثة أثلاث تكون وحدة واحدة. فإذا كان الله هو ثلاثة أشخاص أو لديه ثلاثة أجزاء فإنّه بالتأكيد ليس الكائن الفرد، والوحيد، والكامل الذي هو الله »[٩].

وإذا نظرنا إلى المسألة من زاوية أُخرى: فإنّ الثالوث يعتبر أنّ الله مكون من ثلاث كينونات منفصلة: الأب والابن وروح القدس. فإذا كان الله هو الأب وهو أيضاً الابن فإنّه سيكون أبا نفسه لأنه هو ابن نفسه. وهذا ليس منطقيّاً.

إنّ المسيحية تدّعي أنّها ديانة توحيدية، ولكن بإقامتها ثالوثاً من كائنات إلٰهية فليس هناك شك في ذهن المسلم بأنّ المسيحية قد فقدت فكرة عبادة إلٰهٍ واحد فقط. إنّهم تركوا طريق التوحيد وسلكوا طريق الشرك لأنّهم توقّفوا عن عبادة إلٰهٍ واحد... إنّهم يعبدون ثلاثة.

وهذه تهمة لاتتقبّلها المسيحية بغير اكتراث، وهم بدورهم يتّهمون المسلمين بأنهم لايعرفون ما هو الثالوث، ويدّعون بأنّ القرآن يعتبر

---

(٩) ماذا يجب أن تعرف عن الإسلام والمسلمين، ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

الثالوث مكوناً من الله الأب وعيسى الابن ومريم أُمّه.

وبينما يعتبر تقديس مريم من تلفيقات الكنيسة الكاثوليكية منذ عام ٤٣١ عندما مُنحت لقب «أم الله» من قبل مجمع أفيسوس، فـانّ نـظرة فاحصة إلى الآيات القرآنية التي غالباً مايستشهد بها المسيحيون لتثبيت اتّهامهم تبرهن أنّ اعتبار مريم في القـرآن «عـضواً» في الثـالوث هـو ببساطة غير صحيح.

فبينما يُدين القرآن كلّاً من التثليث (الآية ١٧١ من سـورة النسـاء والآية ٧٣ من سورة المائدة) فإنّ القُرآن لايذكر في أي موضع تعريف الأجزاء الثلاثة الفعلية للثالوث المسيحي.

إنّ الموقف القُرآني هو ليس حول مَن وما الذي يُكوِّنُ هذا الإعتقاد وإنّما المسألة أنّ مجرّد فكرة التثليث هي إدانة لوحدانية الله. فليس هناك في ديانة التوحيد أي مكان لأي كائن آخر ليُعبد مـاعدا الله، وفي هـذا الصدد يقف القُرآن بصلابة:

﴿وإلٰهُكُم إِلٰهٌ واحِدٌ لَا إِلٰهَ إلَّا هُوَ الرَّحمٰنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة ـ ١٦٣).

﴿إنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدةً وأَنَا ربُّكُم فاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء ـ ٩٢).

٣ ـ ميتة واحدة تغفر للجميع

إنَّ معتقد «الغفران» ينصّ ببساطة على أنّ عيسىٰ قاسىٰ ومات علىٰ الصليب من أجل أن يخلّص الإنسان من نير الخطيئة.

فكرة الخطيئة الأصلية

ربّما كان بولص صانعاً للخيام ولكنه كان رجلاً داهية كما تثبت ذلك

الطريقة التي أقام عليها نظاماً عقائدياً كثير الالتواءات للخلاص في الديانة المسيحية. وأكثر مايُرىٰ ذلك بوضوح في عقيدة الغفران هذه، وهي عقيدة تعتمد عليها العقائد المسيحية الأُخرىٰ تماماً في جوهرها، كألوهية المسيح، والثالوث، والخلاص عن طريق الإيمان.

وفي نظر بولص، فإنّ البشر هم جنس من الخطاة. وهذا «امتياز» مشكوك فيه ورثهُ الكل من آدم وخطيئته عندما أكل من الشجرة المحرّمة في جنّة عدن. وهذه «الخطيئة الأصليّة» صبغت كل الجنس البشري منذ آدم.

وبسبب صبغة الخطيئة هذه فإنّ الإنسان لا يستطيع أن يقوم هو بمهمة خلاصه، ولكن عيسىٰ يستطيع أن يقوم بهذه المهمة لأنّه لم يخلق من نطفة رجل. ورغم ما في ذلك من ظلم منطقي لكل من الله والبشر، فإن المسيحية تبنّتْ بحماس هذه العقيدة في الخطيئة الأصلية حتى تبرّر أفكارها عن رسالة المسيح بادّعائها أنّ رسالته هي التكفير عن أخطاء البشر.

وفي وضعه لهذه العقيدة عن الخطيئة الأصلية فإنّ بولص يبدو وكأنه ضرب صفحاً عن كلمات الله لحزقيا في الجزء ١٨ : ٢٠ ـ ٢٢: «إنّ الابن لا يحمل وزر الأب، وأيضاً، لا يحمل الأب وزر الابن».

قمّة التضحية

وحسب مايقوله بولص فإنّ مخلص البشرية جاء في هيئة عيسىٰ: إنّ الله أرسل ابنه الوحيد إلى الأرض حتّىٰ يتحمل الألم والموت على الصليب لكي تكون إراقة دمه هي التي تكفّر عن خطايا البشر. إنّ عيسىٰ كان هو الضحيّة القربانية.

إنّ بولص تذكّر القرابين التي يقدمها اليهود لله في العهد القديم، وبطريقة ما قرّر أنّ هذه القرابين كانت تُقدّم حتى يتلقىٰ الناس عفو الله عن ذنوبهم. وبينما كانت القرابين تُقدم من قبل اليهود القدماء من أجل التكفير، فإنّ الأنبياء الذين جاؤوا بعد ذلك أمروا بأن يكفّ اليهود عن ذلك. ففي هُوشع ٦ : ٦، مثلاً، نقرأ:

«لأنّني أرغب في حُبّ ثابت وليس في قربان».

إنّ الله أراد حبّاً ـ وهذا يأتي من إيمانٍ به وطاعة لقوانينه ـ ولم يطلب دماً. إن عيسىٰ أكّد هذا المفهوم مرة أُخرى في انجيل متّى ٩ : ١٣ حيث نقرأ:

«اذهبوا وتعلموا ماذا يعني هذا الكلام: أنا أرغب في الرحمة وليس في القربان».

أمّا بولص فقد أزاح كل هذا جانباً علىٰ أيّة حال قائلاً إنّ عيسىٰ، وهو كائن كامل، أصبح «القربان الأكبر» عندما قدّم حياته علىٰ الصليب.

إنّ نظرية بولص هي أنّ الله لايمكن اعتباره عادلاً إلّا إذا اقتصّ من الخطاة، والتوبة وحدها ببساطة لاتستطيع أنّ تقدم التبرير «الضروري» للذنوب المرتكبة. فالتكفير، كما يقول، هو ضروري لأنّ شرف الله وعدالته وقدسيته وكماله لايمكن أن تتحقّق «بمجرّد» التوبة.

وبالنسبة إلى المسيحي فإنّ عيسىٰ صالح النّاس مع الله من خلال موته. لقد ألقى المؤلف المسيحي أنيس شروش نظرة متمعنة على هذه المسألة منذ عدّة سنين مضت وقد استنتج أنّه ليس هناك تكفير في الاعتراف والتوبة، إذْ من الذي سيدفع ثمن ذنوبنا؟[١٠].

---

(١٠) نفس المصدر، ص ١٣٥.

وهكذا، فإنّ كل القضية في القول بأنّ مطالبة الله بحياة عيسىٰ كثمن لخطايا الجنس البشري هي التي جعلتْ بولص يأخذ مفهوم الله الذي يُحِبُّ ويحنو علىٰ مخلوقاته ويصنع منه كائناً قاسياً بعيداً لايمكن أن يصله إلّا قربان الدم.

إله للحب:

وإحدى الموضوعات التي أرساها بولص وتبرز مرة بعد مرّة في المسيحية، وخاصّة فيما يتعلّق بعيسىٰ، هي موضوع حبّ الله.

وحسب مايقول المسيحيون، فإنّ حبّ الله هو وراء صلب وموت عيسىٰ... وعلامة حبّ الله هي الصليب كما يقولون. وحسب طريقة تفكيرهم فإنّ الله هكذا أحبّنا بحيث أرسل عيسىٰ وجعله يُعاني ويموت حتّىٰ يُخلّص الجنس البشري من خطاياه.

هل يمكن أن يموت الله ؟

إذا تخطّينا الفكرة المُبلبلة القائلة بأنّ إله المسيحيّين لايمكن أن يغفر مجموعة من الخطايا الصغيرة إلّا بواسطة خطيئة أكبر ـ وهي القتل ـ فإنّ هناك قضية أكثر إلحاحاً وهي هنا مسألة الألوهية.

إنّ الله هو كائن أزلي ـ كان وسيبقىٰ كذلك، إنّه لم يخلق وهو غير قابل للموت ـ فإذا كان المسيح هو ابن الله، كما يدعي المسيحيون، فإنّ ذلك يجعله إلهاً أيضاً. فكيف يمكن له كإله أن يموت على الصليب كما يدعي المسيحيّون ذلك؟

فإذا كان جزؤه الإنساني هو الذي كان سائداً في زمان موته فإنّ هذا

يعني أنّه مات كما يموت أي إنسان آخر، وفي هذه الحالة فإنّ كلّ عقيدة التكفير ليس لها أساس لأنّ دم إنسان واحد لايستطيع أن يكـفّر عـن خطايا أي إنسان آخر.

التأثير الوثني

إنّ بولص لم يفهم جيداً الغرض من القرابين التي كان يقدّمها اليهود في العهد القديم: لقد كانوا يقدّمون القرابين ليعبّروا عن شكرهم لله علىٰ النعم التي حباهم بها ولم يكن الغرض منها التأكد من غفران الله للذنوب.

وكل الأديان الوثنية تقريباً تعتقد بعمق أنّ القرابين المهداة إلى آلهتهم سوف تجلب بالتأكيد غفران الذنوب. وكانت النباتات والحيوانات وحتىٰ البشر يقتلون حتى يمكن الحصول على هذا «الفضل الإلٰهي».

وليس هذا فقط فإنّ معظم الأديان الوثنية تنطوي عـلىٰ نـوع مـن الطقوس يتشارك فيها معتنقوها بالطعام المقدس وخاصة الخبز والخمر. فالوثنيون كانوا يعتقدون بأنّ بتناولهم لهذه الأطعمة المباركة فإنّهم كانوا يشاركون في مزايا آلهتهم، وقواهم وأرواحهم سوف تستقر في داخـل أجسادهم. وقد نقل بولص هذا المفهوم الوثـني إلىٰ المسيحية وسمّـاه «القربان المقدّس للعشاء الأخير»، أو القربان المقدّس.

والأخير يعتبر جزءاً كبيراً من معتقد التكفير، وقد أصبح الآن مـن أهم قرابين المسيحية لأنّه يمثل عيسىٰ وهو يقدّم لحمه ودمه كقربان عن ذنوب البشر.

إنّ عقيدة التكفير لم تخلق مشكلة كبيرة لدىٰ معتنقي المسيحيّة في زمن بولص من غير اليهود لأنّ فكرة إلٰه يموت شاباً ويعود إلىٰ الحياة لأجل

أن ينقذ شعبه كانت حاضرة في خلفياتهم الوثنية على أي حال. فإذا كان أدونيس أو مثراس قد فعل هذا الشيء من أجلهم قبل أن يعتنقوا المسيحيّة، فما المانع من جعل عيسىٰ يفعل ذلك الآن؟

ماذا أنجز بولص؟

لقد طُلب رضا الأميّين (غير اليهود ـ المترجم) مرّة أُخرىٰ: لقد كان عندهم مخلّصوهم في دياناتهم القديمة وجاء بولص فجهّزهم بلباقة بمخلّص في عقيدتهم الجديدة أيضاً. لقد أخبرهم أنّ كلّ ما عليهم أن يفعلوه حتّىٰ يتأكدوا من أنّ الله سيغفر لهم ذنوبهم هو أن يؤمنوا أن عيسىٰ مات من أجل تلك الذنوب. إنّ هذا الاعتقاد هو كل ما في المسألة.

في الشريعة اليهودية تتكون عناصر الغفران من الرحمة الإلهية والتوبة وجهد مخلص لعمل الخير. أمّا التضحية بالدم فلم يكن لها أي دور في الغفران. لكنّ بولص في محاولته لكسب الأُميين أعاد تأويل كتب العهد القديم، وأعطىٰ المسيحيّين الجدد مُخلّصهم... رجل ضحّىٰ بحياته من أجل الآخرين.

إنّ مسيحيّي اليوم ليس لهم ذلك القرب من الوثنية التي كانت موجودة في زمان بولص. إنّ عقيدته في الغفران لا يعرف المسيحيّون المعاصرون كيف يفسرونها على نحو مقنع عندما وجدوا أنّ القضية برمّتها تصبح مُربكة كثيراً في أذهانهم عندما تسلّط عليها قوىٰ المنطق وعلم اللّاهوت.

النظرة الإسلامية

إنّ المسلمين يتناولون هذا المعتقد المسيحي جزءاً جزءاً.

١ ـ مفهوم الخطيئة الأصلية

إنّ الاعتقاد المسيحي حول الخطيئة الأصلية ليس له مكان في الإسلام، لأنّ المسلمين يعتقدون أنّ الإنسان يولد بريئاً نقيّاً وخالياً من الذنوب. يقول الله في القُرآن:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ... ﴾ (الروم ـ ٣٠). فهذه الآية تخبرنا أنّ الله خلق الإنسان طيّباً وبحالة من النقاء الفطري الطبيعي، أي بميلٍ نحو التسليم لإرادة الله وقوانينه(١١).

والخطيئة ليست وراثية: فهي شيء يكتسبه الإنسان عندما يفعل أشياء يجب عليه أن لايفعلها أو عندما لايفعل مايجب عليه أن يفعله. والقول بأنّ كلّاً منّا يأتي إلى هذا العالم محمّلاً بذنبٍ ارتكبه أحد الأسلاف الأقدمين جداً لايعني أقل من إنكار صفات الله في العدل والرحمة.

ورغم أنّ الله أسبغ على الإنسان القدرة لأن يمارس خيارات في هذه الحياة، فإنّ الانسان هو مخلوق ذو طبائع وقدرات محدودة. إنّ القوىٰ الخارجية ـ من قوىٰ الخير والشر ـ هي التي تشكل هيئة طبيعتنا، وليس شيئاً ما فعل في الماضي من قبل أحد أسلافنا الأبعدين. وماذا نصنع في النهاية من أنفسنا سوف يحاسبنا الله به في يوم القيامة. أما في هذه الحياة فإنه يمنحنا كل فرصة ممكنة. ونحن بأنفسنا نكون بُناة مصيرنا بشكل عام.

---

(١١) الإسلام في البؤرة ISLAM IN FOCUS .

وهذه النظرة متأتّية من كون المسلم يعتقد أنّ الله غفر لآدم معصيته: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ... فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة ـ ٣٦، ٣٧). إنّ الله غفر لآدم وبهذا فإنّه أزال كُلَّ وصمة من الخطيئة التي يدّعي المسيحيّون أنّ الجنس البشري ورثها من آدم فصاعداً.

٢ ـ موت عيسىٰ

وبالنسبة لموت عيسىٰ فوق الصليب... فرغم ما يتّضح من أنَّ عيسىٰ، كما حصل للأنبياء من قبله، عانىٰ في سبيل محاولته نشر كلام الله بين قوم لم يكونوا يهمّهم ذلك كثيراً، وأنه كان مُدْركاً جيداً أنّ هذه المعاناة ستحصل له إلّا أنّه لم يذهب إلى حدّ القول بأنه سيقتل... وخصوصاً للغرض الذي يعزيه إليه بولص (الذي جاء من بعده) وهو تخليص الجنس البشري من الخطيئة.

في حديقة (الجُثْمانيّة) فإنّ عيسىٰ كان يدعو الله ويتوسّل إليه بإلحاح «أن تدع هذا الكأس يفوتني» (إنجيل متّى ٢٦ : ٣٩). والكأس هنا هو كناية عن إلقاء القبض عليه وموته. فهل يمكننا أن نعتقد أنّ عبداً مخلصاً لله يدعو الله أن يرحمه ولا يستجيب له؟ إنّ كل قضية التكفير عن البشرية من خلال موت عيسىٰ تبدو وكأنّها مفهوم غير منطقي، وهي متناقضة تماماً مع فكرة الإله العادل، فهل سيرفض إله عادل أن يغفر لآدم ـ وكل الجنس البشري من بعده ـ خطاياه حتى يحين وقت قدوم المسيح؟ هل سيطلب إله عادل ويسمح بإهانة وذبح واحدٍ من أخلص أنبيائه؟ هل سيجبر إله عادل إنساناً واحداً أن يدفع ثمن ذنوب إنسان آخر؟

في الإسلام نحن لانعتقد بذلك.

وإذا نظر المرء إلى هذه المسألة من زاوية حب الله للبشر، فإنّ نفس المنطق ينطبق على إله العدل: هل سيعاقب إله الحبّ كل الجنس البشري حتىٰ قدوم المسيح؟ هل سيطلب إله الحبّ الإهانة المفزعة والموت لواحدٍ من أحبّ عباده المخلصين لديه؟ ونحن لايمكننا إلّا أن نعجب تماماً من نوع الحبّ الذي يتطلب هذا الثمن الباهض والمرعب.

إنّ الإسلام يقف بحسم وراء نظرية المسؤولية الشخصية لأنّ كلّ شخص مسؤول عن أخطائه (أو أخطائها)، ولا يمكن مجرد التفكير بأنّ إلٰهاً عادلاً سوف يعتبر شخصاً ما مسؤولاً عن ذنوب إنسان آخر:

﴿ ... وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلّا عَلَيْها وَلَا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ ... ﴾ (الأنعام ـ ١٦٤).

ولا يمكن لشخص ولا ينبغي أن يعاقب من أجل ذنوب شخص آخر. إنّ الله ينبّئنا بأنه سيثيب أو يعاقب كل إنسان على ما فعله هو وحده في حياته:

﴿ ... لَا يُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها لَهَا مَاكَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ... ﴾ (البقرة ـ ٢٨٦).

٣ ـ أمّا بالنسبة للأضاحي:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اِسْمَ اللهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِن بَهِيمَةِ الأَنْعامِ... لَن يَنالَ اللهَ لُحُومُها وَلَا دِمَاؤُها وَلٰكِن يَنَالُهُ التَّقوَىٰ مِنْكم ... ﴾ (الحج ـ ٣٤، ٣٧).

ولذلك فإنّ الإسلام لايؤمن بأنّ عيسىٰ قد قُتل، ففي القُرآن نقرأ:

﴿ وَقَوْلِهِم إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ بنَ مَرْيَمَ رَسُولَ الله وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلْكِن شُبِّهَ لَهُمْ... بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ... ﴾ (النساء ـ ١٥٧ ، ١٥٨).

وباختصار فإنّ عقيدة المسيحية في التكفير كواسطة لغفران الذنوب لا مكان لها في الإسلام. والمسلمون يؤمنون أنّ الله يريد فقط التوبة النصوح من الناس:

﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (هود ـ ٩٠).

الخلاص يأتي من الله وحده:

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسىٰ أن يَكُونَ مِنَ المُفْلِحينَ ﴾ (القصص ـ ٦٧).

فإذا آمنّا بالله وأسلمنا أنفسنا له تماماً وآتبعنا هديه فعند ذلك يمكننا أن نتأكّد من فضله ورحمته بنا.. وكما يلاحظ من الآيات أعلاه إذا كانت التوبة منّا مخلصة، فإنّ الله يمكن، بل ويقوم فعلاً، بغفران ذنوبنا. وليس هناك حاجة إلى وسيط لأنّ كلاً منّا يستطيع أن يصل إلى الله في كل الأوقات.

وباختصار فليس هناك حاجة إلى مُخلّص: الله وحده يستطيع أن يتكفّل بكل شيء[١٢].

٤ ـ الخلاص بالإيمان وحده:

إذا نظرنا إليه ببساطة فإنّ معتقد المسيحية في الخلاص ينصّ على أنّ الإنسان يخلص ببساطة بأن يمتلك إيماناً بالفكرة القائلة أنّ عيسىٰ مات

---

(١٢) ماذا يجب أن تعرف عن الإسلام والمسلمين، ص ١٨٣.

من أجل ذنوب البشر.

لإرضاء الأُميّين (غير اليهود)

ولا تزال هناك قضية ماذا يحدث بعد الموت. لقد تكلّم جميع الأنبياء عن سعادة الجنّة وعن رعب النّار، ولم يكن عيسى استثناء لذلك. إنّ الذين اعتنقوا المسيحية علىٰ يد بولص كان يُقلقهم ذلك أيضاً، وأرادوا أن يعرفوا بالضّبط كيف يمكنهم أن يؤمّنوا لأنفسهم مكاناً في الجنّة عندما تأتي نهاية العالم.

إنّ الشريعة اليهودية تقول إنّ الخلاص يمكن بلوغه من خلال إطاعة تلك الشريعة.

أمّا الأُميّين فلم يكونوا سعداء بهذه الفكرة. لقد اشتكوا إلىٰ بولص قائلين إنّ الشريعة كانت متشدّدة ومعقّدة بالنسبة لهم. ولقد حلَّ لهم بولص هذه المسألة بطريقة فريدة بقوله لهم إنّ إطاعة الشريعة لم تعد لها ضرورة:

«ليس هناك إنسان يصبح بارّاً بنظر الله بإطاعته للشريعة، والشريعة ليست من الأيمان... إنّ المسيح قد افتدانا من لعنة الشريعة» (غلاطية ٣ : ١٣).

وبالرغم من أنّ الشريعة نبّهت الإنسان إلى ماهو صائب وماهو خاطئ، فإنّ بولص يقول إنّ مجيء عيسىٰ قد ألغىٰ إطاعة الشريعة كواسطة للخلاص:

«وإذن نستنتج أن أي إنسان يُصبح بارّاً بالإيمان بدون أعمال الشريعة» (روميّة ٣ : ٢٨).

ورغم حقيقة أنّ عيسىٰ نفسه قال إنّه جاء ليس لتهديم الشريعة وإنّما جاء لتحقيقها (انجيل متّى ٥ : ١٧)، فإنّ بولص ضرب بكل ذلك عرض الحائط قائلاً إنه فقط الايمان بعيسىٰ يكون ضرورياً للخلاص. وحسب مايقول بولص فإن مجيء عيسىٰ وتضحيته بحياته للتكفير عن ذنوب البشر قد وضع حدّاً للحاجة لاتباع شريعة الله حتّى يبلغ الإنسان الخلاص.

فقط الايمان بهذه «القوّة المخلّصة» لعيسىٰ هو الآن ضروري. فالخلاص لم يعد مبنيّاً على طريقة الحياة التي يتّبعها الإنسان أو الأعمال الصالحة التي يُنجزها، ولكن على الإيمان الذي يتمتّع به.

لعنة الشريعة

إنّ بولص كان عنده سبب آخر لاتخاذ الموقف الذي اتخذه بخصوص شريعة الله. ففي سِفْرالتثنية ٢١ : ٢٣ يقول الله لموسىٰ إنّ الإنسان الذي «يُشنق فوق شجرة».... هو «ملعون من قبل الله». وحتّىٰ يستطيع أن يتخلّص من هذا فإنّ بولص قرر ببساطة أنّ الشريعة نفسها هي لعنة:

«ولكن الناموس (أي الشريعة) ليس من الايمان بل الانسان الذي يفعلها يحيا بها. فإنّ المسيح افتدانا من لعنة الشريعة إذ صار لعنة لأجلنا لأنّه مكتوبٌ ملعونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ علىٰ خشبة». (غلاطية ٣ : ١٢ ـ ١٣).

وبسبب شعور بولص بأنّ الشريعة هي لعنة فإنَّ كلمات الله من سفر التثنية ٢١ : ٢٣ ليس لها أهمية بعد ذلك. ولقد فسّر هذه الكلمات واستبعدها بقوله:

«بينما تعرّض عيسىٰ إلى اللعنة لأنه تعرّض للموت بالصلب فإنه بسبب براءته قد تحمل هذه اللعنة لتكفير ذنوب الآخرين، وليس هناك وصمة

من اللّعنة لصقت به».

وما فعله بولص في جوهرِه كان لتمجيد ماكان يعتبر سالفاً طريقة مخزية للموت لأنّه ببساطة أوجب على نفسه تبرير مخطّط الخلاص الذي وضعه. وحسب ما يذكر أنيس شروش:

«إنّ الصليب، وهو رمز للعار، أصبح من خلال المسيح رمزاً للتحدي. إنّ الصليب، وهو رمزٌ للموت، أصبح من خلال المسيح رمزاً للحياة»[١٣].

التطبيق الفعلي لهذا المعتقد

وبسبب الاعتراض الشديد من جانب حواريي عيسىٰ، فإنّ بولص أُضطر لأن يسير بتؤدة في هذا الموضوع. لقد أبتدأ بالشيء الذي كان الأميون يُبدون أكبر رفض له: الختان. وحسب مايقول بولص فإنّ إبراهيم كان صالحاً قبل أن يُختن، فلماذا الاهتمام بعد هذا بالختان؟

والذي أهمله بولص، على كل حال، كان حقيقة أنّ الله كان قد عقد ميثاقاً قبل مئات السنين مع إبراهيم مختوماً بأوامر الله بالختان من جانب إبراهيم، وكل ذريّته من الذكور بعد ذلك. ففي سفر التكوين ١٧ : ١٤ فإنَّ الله كان واضحاً حول هذه المسألة:

«إنّ الطفل البشري غير المختون والذي تكون قلفته غير مطهرة فإن هذه النفس سوف تقطع من شعبه لأنّه نقض ميثاقي».

ولا يستطيع المرء إلّا أن يعجب كيف استطاع بولص أن يزيح هذه الكلمات جانباً بهذه الجرأة. لقد أبدل الختان بالتعميد وهو رش الماء الذي

---

(١٣) الكشف عن الإسلام، ص ١٣٧.

أصبح الآن الواسطة لختم ميثاق بين الله وبين الفرد المسيحي. إنّ الأُميين (غير اليهود)، بطبيعة الحال، كانوا قد اهتزّوا طرباً لهذا.

بعد ذلك اختفت النظم الغذائية، والأمور الأُخرىٰ سارت على هـذا المنوال الواحدة بعد الأُخرىٰ. وفي فترة قصيرة من الزمن، فإنّ شريعة الله أصبحت لاشيء أكثر من تحضير لقوة الخلاص من عيسىٰ للمسيحيّين... أي إنّ الشريعة أصبحت شيئاً لايستحق الاهتمام.

وبينما الأعمال الصالحة، حسب قول بولص، «تأتي» فطرياً للمسيحي، فإنّ عليه أن يعرف أنّ الأعمال الصالحة لوحدها سوف لن تكفي بنفسها في الخلاص، فقط الإيمان بقوّة الإنقاذ في عيسىٰ يمكن أن تفعل ذلك.

ماذا أنجز بولص

لقد أعطىٰ بولص للمسيحيّين الجدد هذه العقيدة في الخلاص بواسطة الإيمان وحده لسبب واحد: ليحصل علىٰ معتنقين من بين الأُميين (غير اليهود).

لقد لاحظ هؤلاء الأُميّون اليهود والطقوس التي يُمارسونها في أعمالهم الدينية، وكانوا متردّدين في أن يلتزموا بالمسيحيّة بسبب رغبتهم الحادة في تجنّب كل القواعد والأنظمة الموجودة في الشريعة الموسوية.

وهذا المعتقد الأخير وهو الخلاص بالإيمان بعيسىٰ وحـده كـان في الواقع الأكثر جذرية، ولكنّه هو الذي أكَّد نجاح مهمة بولص لأنّ هذا الاعتقاد أعطاهم بالضبط ماكانوا يريدون ولذا هُـرعوا إليـه زُرافـاتٍ ووحداناً.

إنّ عيسىٰ ربّما لم تكن له خطّة في أن يدعو غير اليهود برسالته أو أن

يؤسّس ديانة جديدة، ولكن المسيحية ولدت وأصبحتْ قوة عالمية بسبب تعاليم بولص.

النظرة الإسلامية

إنّ الله أرسل عيسىٰ إلى اليهود لأنهم نبذوا عبادة الله وراء ظهورهم مفضّلين عليها تفاصيل وتعقيدات الشريعة.

إنّ كتب التلمود الثلاثة والستين ـ وهي كلّها تعليقات على الشريعة اليهودية ـ هي برهان علىٰ ذلك. فبالنسبة لليهودي فإنّ الخلاص يتم بإطاعة شريعة الله.

إنّ عيسىٰ قد أرسل ليجعل اليهود يؤمنون أنّ الأعمال الصالحة ليست هي كل شيء، فالإنسان يجب أن يكون لديه إيمان بالله كذلك. لقد أكد عيسىٰ المرّة تلو المرّة أنّ «الطّقوس الفارغة وإظهار الورع غير المخلص» لا يريدها الله في عبادته. وبدلاً من ذلك فإن اليهود يجب أن يتّبعوا الكتب المقدّسة القديمة «بإخلاص وتقوىٰ داخلية ووعي حقيقي بالله»[١٤].

وهذا هو ما وعظ به عيسىٰ بلا كلل، ولكنه، مع الأسف، ليس هو ما تعنيه المسيحية الآن. فرسالة المسيح التي هي:

«إنّ الوصيّة الأُولىٰ من بين كل الوصايا هي: اسمعوا يا بني إسرائيل إنَّ الربَّ إلٰهُنا هو ربٌّ واحد»، كما نقرأ ذلك في مرقص ١٢ : ٢٩، لم تعد غير كتابة على صفحة من الورق.

إنّ بولص جعل من عيسىٰ كائناً إلٰهياً، ثُمَّ حَبَك مشروعاً مُعقداً للخلاص من حوله لا يحتوي غير الإيمان وحده. إنّ إطاعة شريعة الله قد

---

(١٤) ماذا يجب أن تعرف عن الإسلام والمسلمين، ص ١٨٠.

أُزيحت جانباً وسُمّيت «لعنة».

إنّ القرآن يحسم المشكلة بصورة نهائية قائلاً إنّ مكوّني الخلاص هما: الإيمان بالله وحده ثمّ إطاعة شريعته:

﴿وَعَدَ اللهُ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَـظِيمٌ﴾ (المائدة ـ ٩).

نظرة عامّة إلى العقائد المسيحية

من خلال استخدام هذه المعتقدات الأربعة... وهي أُلوهـية عـيسىٰ، والثالوث، والغفران والخلاص بالإيمان.. حصل بولص على نجاح منقطع النظير في مهمّته. ربّما كان اليهود قد أعرضوا عن عيسىٰ ولكن الأُميّين (غير اليهود) قد تقاطروا علىٰ بولص لأنّه أعطاهم بالضبط مايريدون في دينهم الجديد.

والتعبير الذي أطلق سابقاً على اتباع عيسىٰ وهو «النصارىٰ» كان قد أسقط وحلّ محله اسم جديد أكثر ملاءمة وهو «المسـيحيّون»، أو أتباع عيسىٰ المسيح. وهذا الدين الجديد للـمسيحيّة «... قـد تشـابك بكثافة هائلة مـع مـوروثات أسـطورية أخـذت بـغزارة مـن مـصادر وثنية....» جنباً إلى جنب نوع من اللّاهوت «... ثمَّ وضعه كـلّما دعت الحاجة ليلائم عقلية الأزمان المختلفة»[١٥].

وعلى كل حال فإنّ اليهود أزاحوا عيسىٰ جانباً، ولكن بطريقة ما فإنَّ الديانة المسيحية كما وضعها بولص هي الأُخرىٰ أيـضاً أزاحت عـيسىٰ جانباً. ورغم مايقوله أي مسيحي، فإنّ الإنسـان لا يجـد أي دليـل في الأناجيل علىٰ أنّ عيسىٰ نفسه بلّغ عن أي من المعتقدات المذكورة أعلاه. وبمـا أنّ عيسىٰ لم تكن له أية خطط لأن يؤسِّس ديناً جديداً، فإنّ مـن نافلة القول أن يُذكر أنه لم يضع أية معتقدات لدين جديد.

---

(١٥) نفس المصدر.

إنّ كل العقائد المسيحية هي من عمل بولص استناداً إلى رغبته في أن يحصل على رضا غير اليهود في زمانه وكسبهم إلى جانبه. وبدمجه العقائد الوثنية مع تعاليم عيسىٰ، فإنّ بولص حصل على نجاح باهر في مهمته ولكن على حساب تهديم كل شيء تنادي به عقيدة التوحيد.

وبعمله هذا فقد نقض بولص كلّ تعاليم عيسىٰ وأعطىٰ الجنس البشري مجموعة من العقائد أنزلت كارثة بالعقل الإنساني منذ ذلك الحين.

وهنا ـ في طبيعة ودور عيسى الحقيقي مقارنة مع النظرة المسيحية لهذه الطبيعة ولهذا الدور ـ نجد الاختلاف الأساسي بين الإسلام وبين المسيحيّة.

ومن المثير للانتباه أنه بالنسبة للمسيحيّة فإنّ «العقائد التي يؤيّدها القرآن فإنّ من الممكن بسهولة البرهان على أنها جزء من تعاليم الحواريين الأصليين، بينما تكون العقائد التي يرفضها القُرآن تثبت أنّها من إضافات الكنيسة المتأخرة مستلهمة من فلسفات عبادات اليونان والرومان الوثنيّة»[16].

---

(١٦) عيسىٰ في القُرآن، ص ١٤.

الكتب المقدّسة المسيحيّة

بينما تلعب العقائد دوراً مهماً في المسيحيّة، فإنّ الأساس الحقيقي للدّين يمكن العثور عليه في مجموعة من ٦٦ كتاباً تعرف بالكتاب المقدّس. والكتاب المقدّس هو المرشد للمسيحي، وفيه يوجد الغرض الذي من أجله خلق الله الإنسان، متمحوراً حول عيسىٰ، مبيّناً.

إنّ ديناً موحىً به يكون فقط معتمداً عليه بقدر الاعتماد على «الوحي» الذي يرتكز عليه ذلك الدّين. وفي حالة المسيحية فإنّ هذا الأساس البالغ الأهمية هو ضعيف جدّاً بسبب التحريف الذي لحق بكتبها المقدّسة من قبل الإنسان.

إنّ «الإيحاء» موجود فعلاً ولكن المشكلة تنبع ممّا حصل بين وقت نزول الوحي الإلٰهي وبين الوقت الذي كتب فيه مضمون ذلك الوحي.

نظرة فاحصة إلى العهد القديم (التوراة)

لقد شاهد اليهود هيكلهم في القدس يُدمَّر تماماً في عام ٥٨١ قبل الميلاد، ومع الهيكل ضاعت النسخ الأصلية من التوراة.

ورغم أنّ الكتبة ـ وعلى رأسهم عزرا ـ تمكّنوا في النهاية من استرجاع ما فُقد، فإنّ هؤلاء الكتاب اشتغلوا على نسخ عملوا منها نُسخاً أُخرىٰ. وهكذا فإنّ قليلاً من العلماء ينكر أنّ تغييراتٍ قد حصلت: تغييرات في الأُسلوب، وتغييرات في قواعد اللغة، وإضافات إلى قصص

مختلفة لتجميل الرواية، وحتىٰ حذف لأشياء لم يشعر الكاتب بـارتياح منها. وباختصار فإنَّ عمل هؤلاء الكتبة كان قد تأثر بطبيعة الزمن الذي كانوا فيه، جنباً إلى جنب مشاعرهم الشخصية ومعتقداتهم.

وفيما يلي عدد من التغييرات التي حصلت في النص:

١ ـ هناك صيغتان مختلفتان للخليقة نجـدهما في سفر التكـوين: في السورة الأُولىٰ تقول إنّ الخلق استغرق ستّة أيام، بينما السورة الثانية تقول إنّ الله فعله كلّه في يوم واحد فقط (٢ : ٤). وٱستطراداً لهذه الفكرة فإنّ آدم في السورة الأُولىٰ كان آخر ما خُلِق (١ : ٢٧)، بينما تقول السورة الثانية إنّ آدم أوّل مخلوق وقبل أي شيء آخر (٢ : ٤ ـ ٩).

ومع صيغتين للخلق في سفر التكوين ١ و ٢، فـإنّنا نجـد صـيغتين للطوفان في سفر التكوين ٦، ٧، ٨ ونقرأ روايتين لعدد الحيوانات التي أخذها نوح في الفلك، وكذلك صيغتين لأسباب الفيضان وصيغتين للزمن الذي استغرقه الطوفان.

٢ ـ في سفر التكوين ٢٢ : ٢ يُصدر الله الأمر التالي إلى إبراهيم: «**خذ الآن ابنك، ابنك الوحيد إسحاق...**».

إنّ كلمات (ابنك الوحيد٢) يمكن أن تعتبر أنّها لا تـعني شـيئاً غـير تحريف للنص لأنّ إبراهيم كـان عـنده ولدان في ذلك الوقت: إسـحاق وأخوه الأكبر إسماعيل، وليس ولداً واحداً.

٣ ـ وإذا كان موسىٰ يُعتبر هو مؤلف كتاب تثنية الإشتراع، فكيف يكون ممكناً أن يكتب هو رواية وفـاته كـما نجـد ذلك في سِـفْر تـثنية الاشتراع ٣٤؟

وهناك مسألة كيف أنّ الله قد صوّرَ في العهد القديم بأنه كائن قاسٍ

ومتوحِّش:

١ ـ في الأعداد ٢١ : ٥ ، ٦ عندما أرسل الله حيّات سامة بين اليهود نتج عنها أنّ كثيراً من النّاس لُدِغوا وماتوا لأنّهم ببساطة اشتكوا من طعامهم.

٢ ـ في سِفْر تثنية الإشتراع ٧ : ٢ عندما يقول الله لليهود بأنهم يجب أن يقتلوا كل واحد من الذين يأسرونهم في المعارك، ويجب أن لا تأخذهم بهم رحمة.

٣ ـ في العدد ٢ صاموئيل ٢٤ : ١ ـ ٧ عندما يموت سبعون ألفاً من اليهود بطاعون يرسله الله لأنه لم يكن راضياً عن إحصاء للنّاس قام به داود.

وإضافة إلى هذه التصوّرات عن الله، فإنّ هناك أمثلة متعدّدة من السخرية والحطّ من قيمة عدد من أنبياء الله.

١ ـ بنات لوط يسقين أباهنّ خمراً ليسكر ثمّ يراودنه عن نفسه ويغرينه، في سفر التكوين ١٩ : ٣٠ ـ ٣٨.

٢ ـ إنّ داود كان زانياً، كما يقال في العدد ٢ صاموئيل ١١ : ٤ ، ٥.

٣ ـ إنّ سليمان كان عابداً للأوثان كما جاء في سِفْر الملوك العدد ٢ في الآيات ١١ : ٩ ، ١٠.

نعم إنّه من الضروري لنا أن نعرف أنّ هؤلاء الأنبياء الأقدمين كانوا بشراً، ولكن أن تقال هكذا أشياء تحطّ من قدرهم كما في الأمثلة السابقة فإنّ ذلك يذهب إلى حدود بعيدة في التجني.

وليس هذا كلّ شيء. إنّ كتب صاموئيل والملوك والتواريخ تحكي أحداثاً مختلفة وقعت في التاريخ اليهودي المتقدّم ولكنها تحوي عدداً

لابأس به من التناقضات فيما بينها عندما تتعرّض لذكر تلك الأحداث.

إنّ كتاب أشعياء وهو كتاب مفضّل «للنبؤات» عند المسيحيّين يتمتع بامتياز أنه يمتلك أكثر الأمثلة البشعة في التحريف في العهد القديم وهو الانتحال الصريح:

أُنظر إلى أشعياء ٣٧ والتي تكاد أن تكون نسخة كاملة من عمل متقدّم لمؤلف توراتي نجده في العدد ٢ سِفْر الملوك ١٩.

إنّ هذه أعداد قليلة من الأمثلة الكثيرة التي توجد على صفحات العهد القديم للبرهنة علىٰ صحّة الاتهام القائل بأنّ النصوص قد تمّ التلاعب بها. إنّ من الصعب التفكير بغير ذلك مع وجود الأمثلة المتعددة التي تؤكِّد ذلك، هذا إذا غضضنا البصر عن حقيقة أنّه ليس هناك نسخة أصلية من العهد القديم على قيد الوجود.

نظرة فاحصة إلى العهد الجديد

بينما يتّسم العهد القديم بأهمية بالغة بالنسبة لليهود، فإنه لايتمتّع بنفس الأهمية بالنسبة للمسيحيّين الذين ينظرون إليه عموماً كمجموعة من الشهادات التنبؤية لمجيء عيسىٰ.

إنّ أوامر العهد القديم وتعاليمه لاتمتلك أية شرعية بالنسبة للمسيحيّين الآن. إنّ عواطفهم هي وقف على العهد الجديد. وهذه الكتب السبعة والعشرون تتكون أساساً من كتابات بولص، وتحتوي أيضاً على أربعة أناجيل لم يكتبها هو ولكنها على أي حال تؤيد أفكاراً هو مقدّمها. وفي جوهرها فإنّ هذه الكتب هي من «إخراج» بولص بصورة عامة وفي مجملها.

وبعد أن ألقىٰ نظرة فاحصة على الكتاب المقدّس والقرآن، فإنّ الدكتور موريس بوكاي يقول: «إنّ قراءة كاملة للأناجيل يمكنها أن تشوّش المسيحيين بصورة هائلة»[١٧]. إنّه يقدم هذه المقولة لأنّه، وحسب دراساته، وجد أنّ التناقضات وعدم الممكنات وعدم التجانس وتشويه النصوص «... تُجمع على حقيقة أنّ الأناجيل تحتوي على فصول ومقاطع ما هي إلّا الإنتاج الوحيد للخيال البشري»[١٨].

وفيما يلي عدد من التناقضات في الأناجيل:

١ ـ إنّ إنجيل متّى ينطوي على شجرة عائلة عيسىٰ (متّى ١ : ٧) وهي تتابع شجرة العائلة إلى إبراهيم ابتداء من سليمان أحد أولاد داود، بينما الشجرة الموجودة في إنجيل لوقا (٣ : ٣١) تتابع شجرة عائلة عيسىٰ إلى آدم من خلال ناثان وهو ابن آخر لداود مختلف تماماً عن سليمان. فحتّىٰ دراسة خاطفة سوف تظهر أسماء موجودة في سلسلة متّى لاتوجد في الشجرة التي يعطيها لوقا والعكس بالعكس.

ومن النقاط التي يجب ملاحظتها هنا هي أنّ إعطاء شجرة عائلة تنطوي على ذكر اسم لعيسىٰ من خلال يوسف (زوج أُمّه مريم) ينطوي على نوع من الغرابة، وذلك أنّ عيسىٰ لم يكن له أب بشري، وإنّ سلسلة أكثر انسجاماً تكون عن طريق أُمه مريم وليس زوجها يوسف.

٢ ـ إنّ إنجيل يوحنّا هو في تعارض مع الأناجيل الثلاثة الأُخرىٰ في كلّ وجه تقريباً من حياة عيسىٰ ورسالته، مثل أين وُلد وترعرع وقصة تعميده، وحتّىٰ الأمكنة التي زارها ومدة رسالته.

---

(١٧) الكتاب المقدّس والقرآن والعلم، ص ٤٤.

(١٨) نفس المصدر.

وممّا يُقال في الحقيقة فإنّ ٩٢٪ من المادّة الموجودة في إنجيل يوحنّا هي غير مذكورة في الأناجيل الثلاثة الأُخرىٰ[١٩].

ومن الاختلافات المثيرة للانتباه بين إنجيل يوحنّا وبين الأناجيل الثلاثة الأُخرى هي أنّ يوحنّا لايذكر شيئاً مطلقاً عن طريقة العشاء الربّاني.

ففي سرد يوحنّا للعشاء الأخير الذي يوجد في الفصول ١٣ ـ ١٧ يقوم عيسىٰ بغسل أقدام حوارييه وبعد ذلك يلقي عليهم خطبة طويلة (ولو أنّها الآن تعتبر مجالاً للجدل) حول مجيء شخص مواسٍ ومُعزٍّ *COMFORTER* من بعده. ولا يوجد حتّىٰ مجرد ذكر في هذه الفصول حول تقديس الخبز والخمر التي تعتبر اليوم من أعمدة الديانة المسيحية.

٣ ـ لايتكلّم كلّ من إنجيل متّى ويوحنّا عن صعود المسيح إلى السماء. فبينما يتكلّم لوقا عن الصعود في إنجيله وفي كتابه الآخر المعنون بـ «أعمال الرُّسُل» فإنّ الوقت والمكان لهذا الصعود يختلفان في هٰذين الكتابين.

أمّا مرقص فهو أيضاً يتكلّم عن الصعود ولكن المختصين في الكتاب المقدّس يتّفقون علىٰ أنّ سجل هذه الفترة بأكمله كما جاء في إنجيل مرقص «ليس موثوقاً به» (انظر ما سيأتي حول ترجمات الكتاب المقدّس).

ومن أمثلة «التعاليم الغريبة» فإنّنا إذا نظرنا إلى العقيدة المسيحية في الغفران نجده يرتكز على مبدأ أنّ عيسىٰ هو كائن كامل من جميع الوجوه.

ويعجب المرء، في ضوء ذلك، كيف يبرِّر المسيحيون الإشارات في الأناجيل إلى أنّ عيسىٰ ليس شخصاً يتمتّع بالكمال تماماً. فعلىٰ سبيل

---

(١٩) كل الكتب المقدّسة موحاة من الله وهي مفيدة، ص ١٩٥.

المثال:

١ ـ في إنجيل متّى ١٦ : ٢٣ فإنّ عيسىٰ يُسمّي بطرس «الشـيطان» و «مصيدة خطرة» عندما يحاول بطرس أن يُحامي عنه.

٢ ـ في إنجيل مرقص ١١، يلعن عيسىٰ شجرة التين لأنّها ببساطة لم تكن تحمل أثماراً في غير موسمها وكان جائعاً عندما عثر عليها.

٣ ـ في إنجيل يوحنّا ٢ : ١ ـ ٤ يبدو عيسىٰ قليل الاحترام بوضوح عندما يتعامل مع والدته.

وفي متّى ٢٨ : ١٩ يأمر عيسىٰ حواريّيه أن يذهبوا ويعمّدوا بـاسم «الأب والابن وروح القدس». وللبرهان على أنّ هذه الكلمات الأربع هي من إضافات الكنيسة المتأخرة إلى نص كلام عـيسىٰ مـن المـمكن ايجاده من قراءة رسائل بولص أنّه يقول في هذه الرسائل إنّ التعميد في أيّام الكنيسة الأُولىٰ كان يتمّ باسم عيسىٰ وحده.

ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أنه في مرقص ١٦ : ١٥ عيسىٰ يقول: «**اذهبوا أنتم إلى كل العالم واكرزوا* بالإنجيل علىٰ كلّ مخلوق**».

أمّا مرقص فإنّه يورد نفس الحادث في ١٦ : ١٥ كما يفعل متّى في ٢٨ : ١٩، فأين بالضبط جاءت هذه الكلمات الزائدة عن تلك التي نجدها في سرد مرقص؟

عيسىٰ في الأناجيل

كما ذُكر سابقاً، فإنَّ العهد الجديد ـ والأناجيل بصورة خاصة ـ يتمتّع

(*) كَرَزَ: أي وعظ ونادىٰ ببشارة.

بأهمية خاصة عند المسيحيّين. إنهم ينظرون إلى هذه الكتب لإرشادهم ولديهم سبب وجيه: أنّ الأناجيل كُتبت من قبل مسيحيين إلى مسيحيين.

في الأناجيل الأربعة فإنّ عيسىٰ كما يعرفه التاريخ قد أُزيح جانباً مفضِّلين عليه «تمسيح» عيسىٰ.

إنّ مؤلفي الأناجيل أنفسهم لا يزالون محل تساؤل. ورغم عدم تأكدهم حول مَن هم المؤلفون الحقيقيّون فإنّ المختصين في الكتاب المقدّس يتّفقون أنّ متّى ومرقص لم يكونا مؤلّفي الإنجيلين اللّذيْن يحملان اسميهما.

أمّا إنجيل لوقا فيعتقد انّه كتبه صديق لبولص من الأُميين (غير اليهود) لم تتح له حتّى فرصة الالتقاء بعيسىٰ، وإنّ الجزء الأوّل من كتابه حول المسيحية المبكرة هو الذي يحتوي أيضاً على كتاب «الأعمال».

وبينما يقول العديد من المسيحيين أنّ إنجيل يوحنّا كتب من قبل أحد حواريي عيسىٰ الذي له هذا الاسم، فإنَّ المختصّين في الكتاب المقدّس يتساءلون الآن وفي ضوء الحقيقة المعروفة من أنّ يوحنّا كتب إنجيله حوالي عام ١٠٠ ميلادية وأنّ يوحنّا الحواري كان قد استشهد في عام ٧٠ بعد الميلاد، أي قبل أكثر من ٣٠ عاماً من كتابة هذا الإنجيل.

إنّ قبول نظريّة أنّ أشخاصاً غير حواريي عيسىٰ كتبوا الأناجيل الأربعة يحتّم قبول الاحتمال القائل بأنّ هؤلاء المؤلفين لم يكونوا شهود عيان ولا سامعين لعديد من الأحداث التي كتبوا عنها.

وحتّىٰ إذا رغب المرء أن يتعلّق بفكرة أنّ حواريي عيسىٰ كانت لهم يد في كتابة الأناجيل، فإنّنا نعرف أنهم لم يكونوا شهوداً على الأحداث التي جرت بعد أن أخذ عيسىٰ من قبل الجنود من حديقة «الجثمانية»، لأنّنا نقرأ: «ثُمَّ تركهُ الحواريون وهربوا...» في كلّ من إنجيل متّى ٢٦ : ٥٦ وفي

إنجيل مرقص ١٤ : ٥٠.

وباختصار فإنّ كثيراً ممّا نجد في الأناجيل مرتكز على القيل والسماع، وليست هي كتابات رجال شهدوا تلك الأحداث.

ونقطة أُخرىٰ يجب أخذها بعين الاعتبار بخصوص الأناجيل هي انّه لم يكتب ولا واحد منها في حياة عيسىٰ، لأنّه لم يُحتفظ بأي سجل عن فعّالياته خلال حياته. وفي الحقيقة فقد مرّت ٤٠ سنة تقريباً بين الوقت الذي غادر فيه عيسىٰ الأرض وبين ظهور أوّل إنجيل.

وعندما صدر إنجيل متّى في النهاية فإنّ بولص كان قد مضىٰ على وعظه ودعوته ما يقارب العشرين عاماً. لقد كتب رسالته إلى الرومان وفيها وضع كل معتقداته في المسيحية. وفي هذا الضوء نستطيع أن نرىٰ أنّ تعاليم بولص قد أثّرت بلا شك على كاتبي الأناجيل إلى درجة كبيرة.

إنّ الأناجيل كتبت بأجمعها مابين ٧٠ ميلادية و١٠٠ ميلادية وقد جاء مرقص أولاً ثمّ تلاه متّى ثمّ لوقا ثمّ يوحنّا.

إنّ الأناجيل الثلاثة الأُولىٰ تسير على نفس الخطوط عموماً. وفي الحقيقة فإنّ نظرة سريعة تظهر أنّ مؤلفي إنجيلي متّى ولوقا استعارا كثيراً جدّاً من مرقص عندما كتبا إنجيليهما. وهذا هو السبب أنّ هذه الثلاثة تبدو وكأنها تسرد نفس الحكاية، وبهذه الصفة أطلق عليها اسم «الأناجيل المتشابهة».

أمّا إنجيل يوحنّا فإنه مختلف تماماً عن الثلاثة الأُخرىٰ، وهو لايزال يثير جدالاً لأنّ مؤلّفه كان ببساطة مُهتمّاً بقيمة عيسىٰ للديانة المسيحية أكثر من اهتمامه بما قال عيسىٰ وما فعل.

وهكذا يمكننا أن نستنتج بصورة معقولة أنه بسبب عامل الوقت

والكتابة من القيل والسماع وتأثير بولص فإنّ صورة عيسىٰ التي تعكسها لنا الأناجيل ليست هي صورة عيسىٰ كما عرفه التاريخ.

وبدلاً من ذلك فإنَّ هؤلاء المؤلفين كتبوا عن عيسى «اسطوري» مستخدمين وجهة نظر لاهوتية «مَسَّحَتْ» الحقيقة التي جرت في زمان عيسىٰ. إنّ مؤلفي الأناجيل كانوا ملتزمين بالعقائد المسيحية وقد كتبوا وفي أذهانهم وجهة النظر هذه.

والنتيجة أنّ الأناجيل الأربعة تحتوي على أساطير أكثر من احتوائها على حقائق. إنّ رسالة المسيح السماوية كادت أن تُطمس تماماً تحت ركامٍ ممّا تمنّىٰ النّاس وأرادوا من عيسىٰ أن يقول وأن يفعل بدلاً ممّا جرىٰ في الواقع من قبل المسيح.

ونُسَخٌ من نُسَخ

إنّ النسخ المبكرة من الكتاب المقدّس كانت كما في هذا العنوان «نُسَخٌ». وهذه النُسخ كانت مخطوطة باليد بصورة كاملة (إنّ أول نسخة مطبوعة لم تظهر إلى الوجود حتّىٰ القرن الثالث عشر وهي المسمّاة بـ «كتاب جوتنبرغ»).

إنّ المخطوطات الأصلية كانت قد أُهملت مُفضَّلاً عليها نسخ أكثر حداثة وبسبب رثاثة النسخ القديمة من كثرة الاستعمال. وهذه النسخ الأجدّ، بدورها، استخدمت كأساس لنسخ أكثر حداثة وهكذا.

وكلّ نسخة تصنع، على أية حال، كانت تعني أنّ هناك فرصة للتعديلات ـ إن كان ذلك سهواً أو حتّىٰ تعمداً ـ يمكن أن تزحف إلى النص.

وكما في العهد القديم فإنّ النص في العهد الجديد أيضاً عانىٰ من محرّرين ذوي خيال وعانىٰ من تعديلات غير مقصودة وتحريف متعمد للنص من جانب الناسخين.

ويجب أن نشير هنا إلى أنه لم تكن هناك إمكانية الرجوع وقياس موثوقية عمل الكاتبين، لأنه لم تكن هناك مخطوطات أصلية للعهد القديم أو للعهد الجديد مازالت في الوجود. إنّ أقدم النسخ الموجودة تعود إلى القرن السابع أو الثامن الميلادي عندما أخرج نصٌّ «قياسي» من جميع المخطوطات المختلفة ـ وهي بنفسها نُسخٌ من نسخ ـ والتي كانت قيد الاستعمال في ذلك الوقت.

وأمّا بالنسبة للعهد الجديد فلا توجد له مخطوطات أصلية أيضاً. فلا نمتلك إلّا نسخاً أقدمها يعود إلى القرن الرابع وهو الوقت الذي وضعت فيه الكنيسة الكتاب القانوني أو الرسمي. إنّ هذا الفقدان للمخطوطات الأصلية قد ألغىٰ أية إمكانية للتثبّت من صحّة النسخ. وهكذا فإنّ التغييرات التي زحفت إلى النص قد بقيت في نص الكتاب المقدّس.

وقد احتفظت الكنيسة الكاثوليكية بسبعة من الكتب الزائدة الخمسة عشر من العهد القديم، ولكن حتّىٰ هذه أُسقطت من قبل البروتستانت خلال حركة الإصلاح في القرن السادس عشر. ولم يُتّخذ أي كتاب من الكتب الاضافية الستة عشر من العهد الجديد، علىٰ أي حال، كجزء من القانون للكتب المقدّسة.

وهذه الكتب الإضافية التي تُسمّىٰ الآن ـ الكتب المخفيّة ـ والتي كانت جزءاً من الكتاب المقدّس، قد أُهملتْ من قبل قادة الكنيسة لأنها كانت «غير متوافقة» مع عقيدة الكنيسة: «إنّ مؤلّفي هذه الكتب المخفيّة كانوا بالتأكيد أتقياء وعاملين مخلصين... ولكن حين تقرأ ماكتبوا فإنّك سرعان

ماتتصوّر أنّ كلماتهم هي أقل من جلال وسمو الكتب المقدّسة»[٢٠].

ومن الملفت للنظر أنّ الإشارات لبعض هذه الكتب المخفيّة لاتزال ترد في الكتاب المقدّس الرسمي وكمثال على ذلك في «كتاب حروب يهوه» المذكور في الأعداد ٢١ : ١٤ و «كتاب ياشار» المذكور في يوشع ١٠ : ١٣.

حالة من عدم الإكمال

إنّ الكنائس المسيحيّة المبكرة لم يكن لديها أية مجموعة من الكتابات المقدّسة. فبعض الكنائس كانت لها مجموعة من الكتب والبعض الآخر لها مجموعات أُخرى. وهناك كنائس أُخرى اكتفت بواحد من الأناجيل معتقدة بأنّها كلّها كانت تسرد نفس الأحداث. وكان هنالك في التداول كتب لايجدها المرء في معظم الكتب المقدّسة اليوم، خمسة عشر كتاباً إضافياً من العهد القديم وستّة عشر من العهد الجديد.

وبناء على انعدام التنظيم في الكنيسة بخصوص كتبها المقدّسة، فإنّ المطارنة قد اجتمعوا ليحدّدوا سياسة الكنيسة الرسميّة حول قضية الثالوث في مجمع نيقية المسكوني في عام ٣٢٥ ميلادية وأخذوا علىٰ عاتقهم أيضاً أن يقيّموا «قانون الكتب المقدّسة٢». لقد جمعوا كل شيء كان قيد التداول واتخذوا قراراً مرة واحدة وإلى الأبد حول «ما» الذي يكوّن الكتب المقدّسة في العالم المسيحي. وفي النهاية اختير ستة وستون كتاباً: ٣٩ من العهد القديم و ٢٧ من العهد الجديد.

وهكذا فإنّ الكتاب المقدّس اليوم، إلى جانب كونه أصبح ضحيّة

---

(٢٠) هل الكتاب المقدّس يمكن أن يعتمد عليه؟ ص ٣٠.

للتحريف، لا يمكن اعتباره تاماً أو كاملاً. كيف يكون ممكناً أنّ كلمات الله تكون عرضة لأن تُزال وتهمل حسب رغبة الإنسان؟؟

مشكلة الترجمة

لدى الايطاليين قول مأثور يفيد أنّ «المترجمين كاذبون». وهذا ليس اتّهاماً ظالماً وإنّما هو نتيجة لملاحظة ثاقبة. فأخذ شيء مكتوب في لغة معيّنة ومحاولة وضعه في لغة أُخرىٰ هو عملية مليئة بالمصاعب، لأنّ المرء دائماً ما يجد كلمات في لغة مُعيّنة ليس لها مكافئ في اللغة الأُخرىٰ، وبهذا فإنّ الاستعاضة بغيرها يجب أن تتم وبالتالي فإنّ معاني الجمل تتغير نتيجة لذلك.

إنّ العهد القديم كان قد كتب أصلاً بالعبرية، ولكنه كان قد ترجم في القرن الثالث قبل الميلاد إلى اليونانية لفائدة اليهود الذين كانوا يعيشون خارج فلسطين (والذين كانوا يتكلّمون اليونانية بدلاً من العبرية بصورة يوميّة). إنّ هذه الترجمة المسمّاة بـ«السعبونية» قد أُلحقت بالمخطوطات اليونانية للعهد الجديد في القرن الرابع. وهذه المخطوطات في الكتاب المقدّس الكامل تعرف الآن باسم «قانون سينيتاكس» و«قانون الفاتيكان» وهما أقدم مخطوطات في الوجود لاتزال باقية إلى هذا اليوم ولم يكن هناك ماهو أقدم منهما.

وفي أثناء القرن الرابع فإنّ الكتاب المقدّس كان قد ترجم إلى اللّاتينية من قبل القديس جيروم، وهذه بقيت لغة الكتاب المقدّس حتّى القرن السادس عشر عندما ترجم رجال الإصلاح مثل جون وايكليف ووليم تندال ومارتن لوثر الكتاب المقدّس إلى لغات الشعوب، وهذا عمل كان محظوراً وقد دفع تندال حياته ثمناً لذلك. لقد فعلوا ذلك بسبب رغبتهم في

وضع الكتاب المقدّس في أيدي النّاس الذين، ولحد هذا الوقت، لم يكن يُسمح لهم بأن يصلوا إلى معرفة كتبهم المقدّسة.

وقد ظهرت ترجمات أُخرىٰ بسرعة. في نهاية القرن السادس عشر فإنّ الترجمات العديدة والمختلفة للكتاب المقدّس التي كانت قيد التداول أصبحت سبباً في محاولاتٍ عديدة ممّا دعا الملك جيمس الأوّل في انكلترا لأن يُعيّن لجنة من أربعة وخمسين عالماً لإصدار ترجمة «رسمية». لقد درس هؤلاء الرجال كل الترجمات الموجودة في ذلك الحين وفي عام ١٦١١ أصدروا «ترجمة الملك جيمس للكتاب المقدّس» ... والتي أصبحت المقياس بين المسيحيّين لمئات السنين.

المشكلة الحديثة والترجمات الجديدة

حين أوشكت مسألة الشقاق المرتبطة بالتراجم أن تنتهي في عام ١٦١١ بنشر «ترجمة الملك جيمس للكتاب المقدّس»، فإنَّ مشكلة أُخرى هي مشكلة «تنقيح» ـ عصرنة أو تحديث ـ الكتاب المقدّس أصبحت الآن هي السائدة. إنّ سعة هذا الشكل الجديد من الشقاق يمكن ملاحظتها ممّا يلي: في عام ١٩٥٢ ظهرت مقالة بعنوان «الحقيقة حول الكتاب المقدّس» في مجلة لوك *LOOK* أفادتْ بأنّ هناك عشرين ألف خطأ في العهد الجديد وحده.

وقد ردَّ «شهود يهوه» علىٰ هذه المقالة في عدد أيلول (سبتمبر) ١٩٥٧ من مجلتهم «المتيقّظ *AWAKE*» وقد ساقوا أثناء عملية ردّهم مقولة فريدة تقول: «... إنّ المترجمين وقعوا في أخطاء عند ترجمتهم للكتاب المقدّس، وهذه الأخطاء صُحّحت من قبل العلماء

المعاصرين»[٢١]. وما أكبر متعة هؤلاء المختصّين المعاصرين في عملهم هذا !!

في القرن التاسع عشر قرر المسيحيّون أن «يُحدّثوا» لغة «ترجمة الملك جيمس». وجهدهم هذا المسمّىٰ «بالترجمة الأمريكية القياسيّة» نشر في عام ١٩٠١. والمسيحيّون الّذين اشتغلوا في هذه الترجمة، علىٰ أي حال، لم يُحدّثوا اللغة فحسب... وإنّما أدخلوا تغييرات على النص نفسه:

١ ـ اعترافاً بالتحريف ـ واستناداً إلى أنّ ذلك لم يكن موجوداً في المخطوطات اليونانية المبكرة للكتاب المقدّس والتي كانت لاتزال موجودة ـ فإنّ كلمات «الأب والابن وروح القدس» الموجودة في إنجيل يوحنّا ٥ : ٨ من ترجمة الملك جيمس قد عُدّلت من قبل المختصين لتُقرأ: «والروح والماء والدم».

٢ ـ كلّ الآية الموجودة في إنجيل متّى ١٧ : ٢١ والتي تصف النمو الروحي بالصلاة والصيام قد أزيلت من الترجمة الأمريكية القياسيّة. وكلمة «الصيام» حُذفت من آية مشابهة في إنجيل مرقص ٩ : ٢٩. ولشرح ذلك وضعت ملاحظة في ذيل الصفحة تقول «إنّ سلطاتٍ مختلفة، وبعضها قديم تُدخل الآية رقم ٢١».

٣ ـ واعترافاً بتحريف آخر فإنّ الآيات في إنجيل يوحنّا ٧ : ٥٣ و ٨ : ١ ـ ١١ وُضعت بين أقواس ومعها ملاحظة تقول إنّ هذه الآيات «لايمكن العثور عليها في المخطوطات الأكثر قدماً».

وبعد عدد من السنين فإنّ رجال الكنيسة اجتمعوا مرة أُخرىٰ وقرّروا

---

(٢١) مجلة «المتيقّظ *AWAKE*»، ص ٢٦.

أن «يُحدّثوا» الترجمة الأمريكية القياسيّة. ونتيجة لجهودهم نشرت «الترجمة المنقّحة القياسيّة» في عام ١٩٥٢. وفي مقدّمة هذه الترجمة نقرأ ما يلي:

«... إنّ ترجمة الملك جيمس تنطوي علىٰ نواقصَ خطيرة... وهذه النواقص من الكثرة ومن الخطورة بحيث تدعو إلى تنقيح». وفي «الترجمة المنقّحة القياسيّة» نجد أنّ الآيات في إنجيل مرقص المتعلّقة بصعود عيسىٰ إلى السماء (١٦ : ٩ ـ ٢٠) قد أُزيلت لأنها، كما قيل مرّة أُخرىٰ، «لايمكن العثور عليها في المخطوطات الأكثر قدماً».

وفي عام ١٩٨٩ تمّ إصدار الترجمة المنقحة القياسية «الجديدة»، وهي تحديث آخر للترجمة المنقحة القياسية الصادرة في عام ١٩٥٢.

وفي هذه الطبعة فإنّ الآيات التي تحكي عن صعود عيسىٰ في الجزء ١٦ من إنجيل مرقص تعاود الظهور هنا. وبما أنّ العديد من المسيحيّين لم يُعجبهم «تقويض» أحد المعتقدات الأساسية من قبل محرري الترجمة المنقّحة القياسية، فإنّ هذه الآيات قد تَمّ إرجاعها في الترجمة الأخيرة.

والنتيجة: انّه من خلال الاستنساخ على مدىٰ السنين والتراجم الجديدة المتنوعة، فإنّ مايعرف بالكتاب المقدّس هو الآن كتابات أشخاص عاديّين أكثر منه وحياً من عند الله.

إثارة القضيّة مع المسيحيّين

إذا رجعنا إلىٰ القرن الرابع، فإنّ القديس أوغسطين نفسه لاحظ بعض المشكلات في الكتاب المقدّس. وعند تحليله للقضيّة في رسالته رقم ٨٢ فإنّه يقول إنّ السبب في ذلك هو الفهم الناقص. لقد كان يتقبّل الاحتمال بأنّ التدخّل البشري في نص الكتاب المقدّس يمكن أن يكون هو جوهر

المسألة.

والدراسات النقدية التي جرت على الكتابات المـقدّسة، على عكس ما يتصوّر العديدون، هي دراسات حديثة.

لقد قُبل الكتاب المقدّس «كما هو» لمئات من السنين، وكان يُعتبر من الخطايا أن يوجه أدنىٰ انتقاد له، ولقد نجحت الكنيسة في خنق كل محاولة لذلك.

أمّا أوّل انفراج في ذلك فقد جاء في عام ١٦٧٨ ميلادية عندما نشر ريشارد سايمون كتابه المعنون: «انتقاد تاريخ العهد الجديد».

لقد تسبّب هذا الكتاب في فضيحة، ولكنه فتح الطريق للآخرين لأن يتقدّموا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر بدراسات نقدية بخصوص العهد القديم.

وخضوعاً لكل الأدلة التي أوردت، فإنّ مجمع الفـاتيكان (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥) أصدر مقولة مثيرة للانتباه حول الموضوع قائلاً بأنّ «كتب العهد القديم تنطوي علىٰ مادّة بالية لا تتّصف بالكمال»[٢٢].

والعهد الجديد بدوره قد فُتحت عليه النّار. فرغم أنّ مجمع الفاتيكان أصر علىٰ أنّ الأناجيل «هي موثوقة تاريخيّاً» وهي «تتكلّم بأمانة» عمّا قام عيسىٰ «في الواقع بعمله وتعليمه أثناء حياته مع النّاس»[٢٣]، فإنّ علماء آخرين تقدّموا بتصريحات مناقضة تماماً لموقف الفـاتيكان: فـفي كتابه «نداء المنارة» فإنّ الدكتور كنيث كراج يقول إنّ هناك «تكـثيف وتحرير في العهد الجـديد وإنّ الأناجيل جاءت من خلال فكر الكنيسة

---

(٢٢) الكتاب المقدّس والقرآن والعلم، ص ٤١.

(٢٣) نفس المصدر.

وراء المؤلّفين» وإن الأناجيل «تمثّل التجربة والتاريخ».

والأب كانتجيسر الأُستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس حذّر في كتابه «الإيمان بالقيامة والقيامة بالإيمان» من أنّ المرء «يجب أن لا يأخذ حرفيّاً» الوقائع المذكورة عن عيسىٰ في الأناجيل.

وهذا التصريح صدر عن الأب روكيه الباريسي في كتابه «استهلالٌ للأناجيل».

أمّا كارل أندري أُستاذ الفلسفة والدراسات الدينيّة في جامعة بول في ولاية انديانا فيقول إنّ الأناجيل الأربعة «... قد كتبت من قبل أشخاص متحمسين في الحركة المسيحيّة المبكّرة»، وإنّها «تُعطينا فقط جانباً واحداً من القصة وهي، إلى درجة كبيرة، نتاجات افتراضات المؤلفين»[٢٤].

وأخيراً فإنّ هناك مقولة الدكتور جراهام سكروجي من مؤسسة مودي للكتاب المقدّس ذات السمعة الكبيرة وهو يقول:

«نعم إنّ الكتاب المقدّس بشري... هذه الكتب قد مرّت عِبْرَ عقول النّاس وهي مكتوبة بلغة النّاس وخُطّت بأقلام النّاس وأيديهم وتحمل في أساليبها خصائص البشر»[٢٥].

هذا هو موقف علماء الكتاب المقدّس. فماذا، بعد هذا، يكون عند المسيحي «العادي» ليقوله حول ذلك؟

كثيرون منهم لايصلون إلىٰ هذه النقطة لأنّ كُتّاب الملاحظات التقديميّة والتعليقات في الكتب المقدّسة المعاصرة يستخدمون تكتيكات

---

(٢٤) عيسىٰ والأناجيل الأربعة، ص٦، ٧.

(٢٥) هل الكتاب المقدّس كلام الله؟ ص١.

أدبيّة ذكيّة مصمّمة خصيصاً لخنق أية أسئلة يمكن أن يطرحها المسيحي بخصوص عدم التجانس في الكتاب المقدّس. ومن بين أشياء أُخرىٰ، فإنّ هؤلاء الكتّاب يقومون بما يلي:

١ ـ يُقدّمون وقائع لاتزال تعتبر أشياء غير مؤكدة على أنها حقائق.

٢ ـ يُغطّون على المشاكل في النص باعتذارات ـ وهي من أساليب الدفاع الأدبية ـ تعمل على جذب انتباه القارئ إلى شيء آخر غير النص موضوع السؤال.

إنّ المدى الذي يذهب إليه هؤلاء المعلّقون هو إشارة ذات أهمية كبيرة إلى عدم الارتياح الذي يُعانونه من جراء الأخطاء في الكتاب المقدّس.

وإذا ألحَّ عليهم أحد في قضية تفسير الأخطاء في الكتاب المقدّس فإنّه رد الفعل المسيحي النموذجي يكون ردّاً عدائيّاً. وقد قمت بتقديم نسخة أولية عن اكتشافاتي للتحريفات في الكتاب المقدّس لأحد المبشرين المسيحيين والذي جاءني بعد فترة قصيرة يتّهمني بشن «هجوم» على الكتاب المقدّس، وقد ذهب إلى حد القول:

«... إنّ الكتاب المقدّس قد هوجم لمدّة قرون ولكنّه لايزال موجوداً. لقد قاوم التحليلات من داخل المسيحية ومن خارجها»[٢٦].

وإنّي لأعجب كيف يمكن لأحد أن يتعلّق بمثل هذا الموقف في وجه الأمثلة التي يمكن البرهان عليها تماماً وأودّ كثيراً أن أعرف ماذا يعنيه بكلمة «تحليل» نسبته له.

ربّما إنّ مايعنيه يتطابق مع مايوجد في «تحفة» المعتذرين المسيحيين

---

(٢٦) الاتصال الشخصي، ديل كنجزرايتر من مركز تبشير المسلمين، آذار ٣، ١٩٩٣.

المعنونة بـ «هل الكتاب المقدّس يمكن الاعتماد عليه؟». في هذا الكتاب يقول المؤلف بيوج هورستاد: إنّ الله «حرّكَ» كُتّاب الكتب المقدّسة «... ليكتبوا بنواقص تتعلق باللّغة» وإننا يجب «أن نترك ذلك للرب ليتبنّىٰ مايحبّ من الأساليب العديدة وحتّى أنواع الضعف البشري»[٢٧].

لقد أصدر «شهود يهوه» كتاباً كاملاً منوناً بـ «الكتاب المقدّس: كلام الله أم كلام البشر؟» يتعامل مع المشاكل في ذلك الكتاب. في هذا الكتاب يتعاملون مع هذه المسألة بطراز آخر فريد بالقول إنّه بينما توجد هناك بعض التناقضات الظاهرية في الكتاب المقدّس التي هي «من الصعب قبولها» فإنّ الواجب علينا أن لانفترض أنّ هذه تناقضات مؤكدة، إنها غالباً ماتكون «... مجرّد قضية من عدم وجود معلومات كاملة»[٢٨]. لقد حصلت علىٰ نسخة من ترجمة «شهود يهوه» للكتاب المقدّس المعنون بـ «الترجمة العالمية الجديدة للكتب المقدّسة» فسألتُ عضواً ذا مركز عالٍ في كنيسة محلية: كيف تفسّرون ما جاء في موضع الآية ٢١ من إنجيل متّى والتي تثير الفضول عندما تبدو هكذا: «٢١ .....» وليس هناك كلام بل تسلسل رقمي فقط وخط طويل من الفراغ. إنّ الرجل، وقد بدأ مرتبكاً بعد أن تأكّد من وجودها، وعدني بأنّه سيرد عليَّ بعد مدّة. ولا أزال لحدّ الآن أنتظر ردّه حول هذه المسألة.

وباختصار فإنّ المسيحيين لايشعرون بالتسامح عندما توجه تهمة أنّ الكتابات المقدّسة قد اعتراها التحريف، ولهم الحقّ في ذلك: لأنهم، بعد كلّ شيء، يقولون:

«إذا أصبح الأساس مهزوزاً وغير مؤكّد، فعلىٰ ماذا سنقف في أيام

---

(٢٧) هل الكتاب المقدّس يمكن الاعتماد عليه، ص ٨٦، ٨٧.
(٢٨) الكتاب المقدّس: كلام الله أم كلام البشر؟ ص ٩٧.

الشدائد»[٢٩].

ليس هذا فقط، بل هناك «المسألة الصغيرة» حول ما يقوله ـ بخصوص التعديلات في الكتب المقدّسة ـ هذه الكتب المقدّسة نفسها:

«... إذا أضاف أي إنسان لهذه الأشياء (أو حذف منها) فإنّ الله سيُضيفُ إليه الطواعين المذكورة في هذا الكتاب» (رؤيا يوحنّا ٢٢ : ١٨، ١٩).

إنّ الدليل موجود، في كل الأحوال، واضحاً وبسيطاً لكل من يرى: بينما ألهم الله الأشخاص الّذين خطّوا نسخ الكتاب المقدّس، فليس هناك شك أنّ المداخلات البشرية قد فعلتْ فعلها.

ومرّة أُخرى، فإنّ سؤالاً بالغ الأهمية يجب أن يوجّه إلى المسيحي: كيف يكون ممكناً أنّ كلمات الله يمكن تحويرها أو إزالتها أو إهمالها حسب هوى الإنسان؟

الموقف الإسلامي

إنّ مسألة تحريف الإنسان لوحي الله هي السبب في نزول القرآن علىٰ النبيّ محمّد (ص). الوحي النهائي لخاتم رسل الله. إنّ القرآن يتكلّم حول هذا التحريف الذي أصاب كتب الوحي السماوية السابقة في عدد من الآيات مثل:

﴿فَبَدَّلَ الّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الّذي قِيلَ لَهُم...﴾ (البقرة ـ ٥٩).

﴿... وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُم يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَه مِن بَعْدِمَا

---

(٢٩) هل الكتاب المقدّس يمكن الاعتماد عليه؟ ص ٨٤.

عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾ (البقرة ـ ٧٥).

﴿وإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بالكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ ومَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِن عِنْدِ اللهِ...﴾ (آل عمران ـ ٧٨).

وهذه الآيات تشير إلى حقيقة أُخرى وهي أنه بينما يؤمر المسلمون أن يؤمنوا بما أُنزِلَ من الوحي قبل القُرآن، فإنَّ الايمان بهذه الكتب ـ وهي التوراة والزبور والإنجيل ـ يشير إلى الإيمان بالوحي الأصلي من الله، وبالتأكيد فليس هو الايمان بما نجد في الكتاب المقدّس اليوم، ولا حتّىٰ بالكتب المقدّسة اليهودية والمسيحية التي كانت موجودة في زمان النّبي محمّد (ص).

إنّ العقيدة الإسلامية هي أنّ القرآن قد جاء من الله لتصحيح كل هذه التحويرات المتعمدة أو غير المقصودة لوحيه السابق. إنَّ الله قد بيّن تماماً أنّ هذا، وهو وحيه الختامي، سوف لن يعترِيَهُ ما أصاب الكتب السابقة:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر ـ ٩).

وفي هذا الصدد فإنّ القرآن يستمر كما جاء في هذه الآية. لقد بقي بدون تغيير منذ الوقت الذي أوحي فيه إلى النّبي محمّد (ص)، وهناك مخطوطات أصلية لاتزال في الوجود لتثبت ذلك. ففي مكتبة الشيخ حمود في المدينة المنورة في العربية السعودية توجد نسخة من القرآن من القرن السابع الميلادي: وهي أقدم نسخة معروفة في الوجود وقد كتبت باليد على جلد غزال بعد سنين قليلة فقط من رحيل النّبي محمد. ونسخة أُخرى تعود إلى القرن السابع الميلادي هي من زمن الخليفة عثمان وتوجد في متحف توبكابي في استانبول في تركيا.

وإذا أخذ المرء قُرآناً عربيّاً من نسخ اليوم وقارن النص الذي فيه مع

النص الموجود في أي واحد من النسخ التي تعود إلى القرن السابع الميلادي فسوف لن يجد أيّة تناقضات. إنّ النص العربي لم يُغيّر بأية طريقة رغم مرور ١٤٠٠ سنة. ولهذا فليس هناك برهان خير من هذا للوعد القرآني بأنّ الله قد حافظ على تعهده ليحفظ هذا القُرآن وهو وحيه الختامي.

وأما بالنسبة للبشر الذين يُغيِّرون الوحي الإلٰهي فإنّ القُرآن يقول التالي:

﴿وَٱتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ لَا مُبدِّلَ لِكَلِماتِهِ ولَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾ (الكهف ـ ٢٧).

التوحيد الخالص يُستعاد

عندما استمر اليهود في رفض ما جاء به عيسىٰ رغم أنه واحد منهم ورغم اتساع مجال رسالته فإنه أخبرهم بأنّ العهد الذي أعطاه الله لبني إسرائيل قد أُلغي بسبب عنادهم وركوبهم رؤوسهم:

« ولهذا أقول لكم إنّ ملكوت الله سيُزال عنكم وسيُعطىٰ إلى قوم غيركم ليجنوا ثمار عهد الله » (إنجيل متّى ـ ٢١ : ٤٣). وأتباع المسيح تعلّقوا بقوله هذا بكل حماس ناظرين إلى أنفسهم بأنهم « شعب الله المختار » الجديد.

المسيحية تستمر في الانحراف عن الطريق المستقيم

وبحلول القرن الرابع، على أية حال، فإنّ المسيحية أصبحت قائمة بقوة كدين: فالعقائد قد شكّلت وكذلك قانون الكتب المقدّسة. وكما لوحظ سابقاً فإنّ التعاليم الحقيقية لعيسىٰ أصبحت تكاد تكون منسيّة من قبل المسيحيين مفضّلين عليها تعاليم بولص الطرطوسي. ولقد أُدخلت العقائد والتقاليد الوثنية في المسيحية من قبل بولص حتّىٰ يتمكن من كسب معتنقين جدد من بين الوثنيين الأُميين (غير اليهود) في زمانه، فإنّ كل العقائد المسيحية لها جذور في الوثنية. وبازدياد أعداد الوثنيين المتحوّلين إلى المسيحية فإنّ عقائد وثنية أكثر فأكثر وجدت طريقها إلى المسيحية.

فالأعياد الوثنية « تمّ تحويلها » إلى أعياد مسيحية. فعيد ميلاد مثراس في ٢٥ كانون الأوّل (ديسمبر) أصبح يوم ميلاد المسيح (مع مساعدة من

طقوس الرومان الوثنية الخاصة بساتور ناليا والتي أُضيفت بكثرة)، والإحتفال بالموتىٰ أصبح «يوم كل القديسين»، واليوم المخصّص لقيامة الإله آتيس أصبح اليوم المخصص لقيامة المسيح (مع إضافة كبيرة أيضاً من طقوس الخصوبة الوثنية). أمّا السبت اليهودي الذي خصّصه الله في اليوم السابع من الأسبوع في الشريعة الموسوية فقد بُدّل في المسيحية إلى اليوم الأوّل من الأسبوع. إنّ يوم الأحد حُسب على أنّه اليوم الذي قام به عيسىٰ من بين الأموات ولكن يجب أن لايغيب عن البال أنّه أوّلاً وقبل كل شيء فإنّ يوم الأحد هو اليوم «المثراني» (للشمس المنتصرة).

والأفكار المسيحية عن الجنس والزواج قد تأثرت بشدة بالتقاليد الوثنية التي وردت في الأفلاطونية الجديدة والرواقيين والفتوحيين (أو العرفانيين). وكل هذه الأديان اعتبرت أنّ الجنس هو قوة شريرة وأنّ الرهبانية والحصانة الجنسية هي فضائل يجب استهدافها. ولقد تبنّتْ المسيحية بحماس مثل هذه الأفكار وبهذا وضعت الجنس البشري والعائلة في حالة غير طبيعية لم يأمر بها الله أبداً.

إنّ الطقوس والعقائد الوثنية كانت تسبّب الانزعاج للمبشرين المسيحيين المبكِّرين لأنّ هذه التقاليد كانت من الرسوخ لدرجة أنّها كانت مستعصية على الإزالة بأية طريقة. وفي عام ٥٩٨ بعد الميلاد فإنّ البابا غريفور الكبير جاء إلىٰ نجدة المبشرين بإصدار أمر رسمي بابوي يقول أنّ القساوسة يجب أن يسمحوا للناس بالاستمرار في ممارسة العادات والعقائد ولكن هذه يجب أن توجّه «نحو الثناء» على الله.

وهكذا فإنّ النّاس استمروا في اعتقادهم بالسحر والشعوذة والأسحار السوداء... الخ، لأنّ القساوسة أخبروهم أنّ هذه الأوهام كانت من «تجلِّيات» الشيطان. أمّا القدّيسون «والآثار المقدّسة» فقد تمّ

تشجيع ممارسة التبرّك بها لأنّ لها القدرة على طرد الشر.

إنّ المسيحية وبما دخلها من فيض كبير من العقائد الوثنية جنباً إلى جنب عيسىٰ ـ بدلاً عن الله ـ كمرتكز للايمان، أصبحت، ببساطة، فوضىٰ كاملة.

الحاجة إلى رسول آخر

كان اليهود ضائعين في كتبهم الخاصة بالشريعة والمسيحيون ضائعين في تقديسهم لرسول بشري. ولهذا قرر الله أن يعطي الجنس البشري فرصة إضافية في محاولة أخيرة لبناء التوحيد الخالص على هذه الأرض.

إنّ النّبي إبراهيم، كما لوحظ في الفصل الأوّل، كان له ولدان، فإضافة إلى إسحاق كان هناك إسماعيل وهو أكبر الاثنين. وعندما عقد الله عهده مع إبراهيم بخصوص إسحاق، فإنه أيضاً كانت له بعض الكلمات ليقولها بالنسبة لإسماعيل:

«وأمّا بالنسبة إلى إسماعيل فإنني قد سمعت دعاءك: إنني قد باركت فيه وسأجعله كثير النسل وسوف تتزايد ذريتهُ كثيراً جداً وسوف يولد له اثنا عشر أميراً وسأجعل من ذريته شعباً عظيماً» (سفر التكوين ١٧ : ٢٠).

العهد مع إسماعيل يتحقق

لقد استقر إسماعيل وأُمّه في الجزيرة العربية حيث عاش وتكاثرت ذريته خلال السنين إلى ذلك الشعب الكبير الذي سبق أن أخبر عنه الله. وفي عام ٦١٠ بعد الميلاد تحقّق وعد الله في مباركة ذريته عندما دعا الله أحَدَ أحفاده، وهو تاجر مرموق يبلغ الأربعين من عمره اسمه محمّد(ص)،

ليُبلِّغَ كلام الله إلى جميع البشر.

وهكذا فإنّ العهد الذي قطعه الله لإبراهيم أصبح الآن تاماً وترسيخ التوحيد الخالص ـ الإسلام أو الخضوع إلى الله الواحد ـ صار في طريقه لأن يصبح أخيراً حقيقة واقعة. إنّ هذه النعمة حقّاً كانت بالغة القوّة لأنّ النّبي محمّداً (ص) شهد الترسيخ الثابت للإسلام يحدث أثناء حياته، وهو قد جاء بكلمات الله لقومه في هيئةٍ بقيت بدون تبديل إلى يومنا هذا.

إنّ أُسس الإسلام هي أُسس التوحيد الحقيقي: عبادة الله وحده وإطاعة شريعته وقوانينه. وهكذا فإنّ التوحيد النقي قد استعيد مرّة أُخرىٰ.

المسيحيّة والإسلام

إنّ المسيحيين يبدون مغرورين إلى درجة لا تُصدّق وخصوصاً عندما يصل الأمر إلى الأديان الأُخرىٰ. فبلا استثناء تقريباً فإنّ كلّ مسيحي يعتقد أنّ ديانته هي الديانة الوحيدة الصحيحة. قد تكون اليهودية جاءت أوّلاً، ولكن بالنسبة للمسيحي فإنّها كانت فقط تحضيراً للعقيدة المسيحيّة.

وبالنسبة إلى طريقة تفكيره فإنّ الله جعل اليهود شعبه المختار. وهذا الاختيار يعني أنّ الله قد انتقىٰ اليهود وأنه خصّهم وحدهم فقط بنزول وحيه وإرسال أنبيائه. ولهذا فإنّ المسيحي يعتقد بأنه يستطيع أن يؤمن فقط بالأنبياء من بني إسرائيل وكل الآخرين ما هم إلّا أدعياء.

إنّ الإسلام يقدّم صورة أُخرى مختلفة تماماً فيما يخصّ المسيحي. ففي نفس الوقت تقريباً الذي انتشر فيه الإسلام خارج الجزيرة العربية بعد وفاة النّبي محمّد (ص)، فقد بدأ المسيحيّون يردّدون القول بأنّ رجلاً من الجزيرة العربية كانت له الصلافة حقّاً أن يدّعي أنّه كان رسولاً من الله. ورغم أنّ الإسلام قد أكّد تماماً على النصّ أنه سيكون من إنكار نعمة الله على كلّ عباده القول بأنه لايبعث رسلاً إلّا من شعب واحد، فإنّ المسيحيين لم يكونوا مستعدين ليسمعوا. وبما أنّ النّبي محمّداً (ص) لم يكن يهودياً فإنه في نظرهم كان نبيّاً زائفاً يحمل رسالة زائفة من إله زائف.

وفي البداية كان ردّ الفعل المسيحي للإسلام هو ببساطة نوع من التذمّر المكتوم، ولكن عندما دمّر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله

المزارات المقدّسة المسيحية في القدس، فإنّ هذا التذمّر تطوّر إلى صخب هادر. إنّ المسيحيين في أوربا كانوا يعيشون في خوف من غزوٍ إسلامي وكان عمل الحاكم بأمر الله هو القشّة الأخيرة.

وعندما دعا البابا أوريان الثاني لحملة صليبية في عام ١٠٩٥ «لتحرير الأراضي المقدّسة من أعداء المسيحية»، فإنّ حملة الكراهية ضد الإسلام إنطلقتْ كالصاروخ وقد بلغت أوجها في القرن الثاني عشر. وفي معرض هجومهم على الإسلام فإنّ العديد من الأشياء الخسيسة والمخزية كانت قد دُسّت إلى النّاس العاديين من قبل مَن كان يُدعىٰ بـ «العلماء المتضلّعين». وكان النّبيّ محمّد (ص) قد اعتبر بأنّه عدو المسيح *ANTICHRIST*، وهو نبيّ زائف ومشعوذ قومي وأناني طنّان ومستبد وشهواني إضافة إلى صفات أُخرىٰ.

وأمّا القرآن فقد قيل بأنّه مجموعة من الخطب الرنّانة والهراء المخبول وأنّه «قراءة متعبة ولخبطة مضنية ومرتبكة». وفي نظر المسيحيين في القرون الوسطىٰ فإنّ القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله لأنّ «محمّداً (ص)» كان نبيّاً زائفاً ولهذا قيل إنه كان مُلفّقاً. وذهبوا إلى حدّ القول بأنّه لم يكن سوى نتيجة لنوبات من الصرع كانت تنتاب محمّداً (ص) بدأ بعدها ينشرها على أنّها وحي إلٰهي.

أمّا الإسلام، أي الدّين، فقد كان يُنظر إليه على أنّه لا شيء أكثر من ضلالة ـ أو بدعة ـ من المسيحية، وكان يقال عنه أنّه «دين السيف» ويعبّر عنه باستهزاء (بالدين المحمّدي أو المحمّدية) والمسلمون أنفسهم أيضاً لم يسلموا من سخط المسيحيين في العصور الوسطىٰ وقد سمّوهم بالكافرين والوثنيين والأعراب والمحمّديين.

وبسبب قدرتهم على قبول الإسلام فإنّ المسيحيين أصبحوا من

المعادين له بصورة مطلقة. في تهجّماتهم اللفظية فإنّ قادة الكنيسة استخدموا استخداماً كاملاً كل أساليب التحيّز والتشويه والتحريف واختلاف التفاصيل ثمّ الهجوم عليها... الخ. ومرور الزمن لم يجعل الأُمور أفضل لسوء الحظ. إنّ وقت الحملات الصليبية قد ولّىٰ منذ زمن طويل ولكن المسيحيين لايزالون غير قادرين على تقبل الإسلام. وعلى أي حال فإنه بالنسبة إلى العديد من المسيحيين المعاصرين فإنهم يتّبعون طريقة جديدة لمواجهة مايسمّونه «خطر الإسلام».

جهود المبشّرين

إنّ العنف ضد المسلمين والذي تميزت به الحملات الصليبية، كان يصاحبه جهد تبشيري من جانب المسيحيين من أجل «إرجاع الوثنيين إلى الرب». ولكن هذه الجهود التبشيرية، على كل حال، لم تلاقِ إلّا نجاحاً قليلاً رغم كل الوقت والمال اللّذين بذلا طيلة المئات من السنين التي استمر فيها.

وأُولى المحاولات لجلب المسلمين إلى المسيحية استخدم فيها نفس أسلوب الهجوم على الإسلام الذي كان ينشر بين المسيحيين. وبطبيعة الحال فقد رفض المسلمون الاستماع إلى هذا الكلام. لقد بيّن الزمن للمسيحيين أنّ الإهانات لاتثير اهتمام المسلمين، ولهذا فإنّ محاولات التبشير المسيحي للمسلمين قد أخذت مساراً جديداً تماماً بالقول بأنّ المسيحيين الآن «يريدون أن يقتربوا من المسلمين بودٍ ومحبّة».

في الولايات المتحدة هناك مؤسسة باسم «المركز الكهنوتي للمسلمين» تنشر مواد متنوعة تهدف إلى توضيح رسالة المسيحية إلى المسلم.

أساليب الإستهزاء لم تعد تستخدم ولكن وسائل أُخرى قليلة الذوق كالتشويه والترجمة المغلوطة وحتّىٰ الإفتراءات هي التي تستخدم الآن. فحقيقة المسيحية تغطى الآن بغلاف سُكّري.

و «المركز الكهنوتي للمسلمين» يستهدف أولئك المسلمين الغرباء في هذه البلاد والذين لايتمتعون بالإسناد المعنوي من عوائلهم وأصدقائهم.

وواحدة من المحاولات الملفتة للنظر من جانب جماعة «المركز الكهنوتي للمسلمين» هي مجلة عنوانها «نور الحق *NOOR ULL-HAQ*» وتطبع بالإنجليزية والعربية ويظهر من هيئتها أنّها تعطي كل المظاهر على أنّها مطبوعة إسلامية، ولكنّها في الواقع مجلة مسيحية تبشيرية هدفها الوصول إلى المسلمين. وهذه المجلّة تستخدم تعابير إسلامية وآيات قرآنية ولكن الأسلوب الماكر هو المهم هنا، لأنّ هذه التعابير تشوّه وتفسّر خارجاً عن موضوعها حتّىٰ تُعطي انطباعاً للمسلم بأنها تؤيد التعاليم المسيحية. وبالنسبة إلى الفرد المسلم الذي له معرفة محدودة فإنّ ذلك يقود إلى قدرٍ كبير من الارتباك.

ورغم ذلك فإنّ «المركز الكهنوتي للمسلمين» شيء يسير مقارناً مع مؤسسة زويمر للدراسات الإسلامية. فهذه المؤسسة الموجودة في كاليفورنيا والتي جاء اسمها من مبشِّر هولندي من الكنيسة الإصلاحية قضىٰ مايقارب الخمسين عاماً في الجزء الأوّل من هذا القرن في الشرق الأوسط في أعمال التبشير بين المسلمين، إنّ هذه المؤسسة تدرِّب المسيحيين على أساليب التبشير بين المسلمين. فالدارسون في هذا المعهد يدرسون اللغة العربية والتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية وحالة العقيدة الإسلامية وممارساتها. وهؤلاء الأشخاص منظّمون جيداً وهم ليسوا في أي حال جاهلين في قضايا الإسلام. متحيِّزون نعم أمّا أنّهم

جاهلون فلا.

وفي هذه المؤسّسة مجهود دؤوب ومتكامل: فالقساوسة الدارسون والمبشّرون المسجّلون في المعهد يتلقّون دروساً متنوعة ومنتظمة عن الإسلام. فبالإضافة إلى الدراسة في المعهد نفسه فإنّ هناك ندوات يمتد كلّ منها ليستغرق ساعات حول الإسلام وهي في متناول المجموعات الكنسيّة. وفي المعهد مركز للنشر يقذف كل أنواع النشرات والدعايات والملازم والكتب وحتىٰ الأفلام وشرائط الفيديو.

إنّ هذا كلّه مثير للإعجاب بالنسبة للمسيحي ولكنه خَطِرٌ على المسلم. إنَّ المبشرين الذين يتخرجون من هذا المعهد لايحاولون أن يُظهروا الإسلام على أنّه (كتلة من الأخطاء). إنّهم يحاولون الآن أن يظهروا الاسلام على انّه يحتوي «شظايا من حقائق غير مترابطة» ومن هناك يحاولون أن يُقنعوا المسلم أنّ هذه «الشظايا من الحقائق» تصبح «متكاملة» في المسيحيّة. إنّ التهجّمات اللفظية قد أُزيحت جانباً مُفضّلين عليها محاولة بذر الشك في عقل المسلم بخصوص معتقداته. إنّ المسيحيين يأملون أنّ هذا الشك سيؤدي إلى التذمر ومن ثمّ سيؤدي إلى الانتقال من الإسلام إلى المسيحية.

إنّ المبشّرين المسيحيين ينظرون باهتمام إلى التوتّرات في داخل العالم الإسلامي اليوم. فمعهد زويمر يقول للمنتسبين إليه: «إنّ تهجير الشعوب وتعطيل الحياة المعتادة قد هزّا التقاليد القديمة وسبّبا انفتاحاً عند مسلمين كثيرين جعلهم يستمعون إلى الأخبار الطيّبة عن عيسىٰ المسيح... إنّ خرافة الإسلام المنيع لم تعد صحيحة بعد الآن»[30].

(٣٠) دفتر ملاحظات ندوة معرفة المسلم.

إنّ الأرقام التي يعطيها معهد زويمر للمتحوّلين إلى المسيحية هي «مبالغ فيها» بلا شكّ... فبعد كلّ شيء فإنّ إعطاء الأعداد القليلة سوف لا يجعل الدارسين والأموال تتقاطر عليها، ولكن الحقيقة تبقىٰ لتقول إنّ هذه «الشجرة» المسيحيّة تحمل ثماراً. فالمسلمون يُغْرون بترك الإسلام والتحوّل إلى المسيحيّة.

وكلّما استمرّ الإسلام بالانتشار، فإنّ منظمات مثل «المركز الكهنوتي للمسلمين ومعهد زويمر» تصبح أكثر قوّة وأكثر مهارة هي الأُخرى في أداء عملها. ولا يستطيع المسلم بعد الآن أن يقعد في مكانه ويتغاضىٰ عن ذلك، فإنّ هذه المحاولات ستأتي وتطرق بابه عاجلاً أم آجلاً ويجب عليه أن يكون مستعداً. يجب عليه أن يكون قويّاً في عقيدته ويجب عليه أن يعرف عن «الشخص الآخر» حتىٰ يستطيع أن يقف نِدّاً له.

الحملة المضادّة للكراهية

بالرغم من أنّ منظّمات «كالمركز الكهنوتي للمسلمين» و«معهد زويمر» تسير محدثة أصواتاً خافتة حول حملتها في «الوصول إلى المسلمين بودّ ومحبّة»، فإنّ هناك في الخلف تتحرك الطريقة الأُخرى التي يستخدمها المسيحيون أكثر من غيرها للتعامل مع الإسلام. إنها الطريقة التي بدأت في وقت الحملات الصليبية والتي لم تمت تماماً أبداً. إنّ هذه الهجومات اللفظية على الإسلام، والتي يطلق عليها «العقلية الصليبيّة» هي ببساطة استمرار للنشاطات التي بدأت قبل أكثر من ٩٠٠ سنة عندما هيّج البابا أوريان الثاني الجماهير في كليرمونت بخصوص المعادين للمسيحية في الشرق.

إنّ الأدلّة على أنّ حملة الكراهية هذه لاتزال مستمرة في رفع رأسها

القبيح يمكن أن تلاحظ في محلات بيع الكتب ـ وخصوصاً المسيحية منها ـ وعلى رفوف المكتبات العامة. إنّ ما يُسمّىٰ بـ«المستشرقين» في القرنين التاسع عشر والعشرين كتبوا أشياء تثير النفور من العالم الإسلامي: وأمثلة ذلك يمكن أن نجدها في كتاب «قصّة الحضارة» لديورانت، وكتاب «تدهور وسقوط الإمبراطورية الرومانية» لجبونز، وكتاب «داخل آسيا» لجونثر، وكتاب «مختصر التاريخ» لأيج. جي. ويلز... وكل هذه الكتب تعتبر من الكلاسيكيات في عالم التاريخ. والتحيّز والعداء يَشِعّان من جميع هذه الكتب، ولا يسع الإنسان إلّا أن يعجب لماذا اختار هؤلاء الرجال، كعمل لهم في الحياة، أن يدرسوا منطقة من العالم يشعرون نحوها بهذا القدر من الكراهية. وحتى كتاب البرت حوراني الجديد المشهور والمسمّى «تاريخ الشعوب العربيّة» فإنه ينضح بالتحيّز والكراهية.

ولكن مفردات الكراهية المضادة تأخذ مداها الحقيقي على يد الأُصوليين المسيحيين: خذ مثلاً كتاب «الإسلام مكشوفاً» والذي كتبه مسيحي عربي في عام ١٩٨٨: فعلىٰ صفحة غلافه الأخير تكفّل الكاتب أن يُعطي للقراء «نظرة لفتح العيون على العقائد القاتلة لكل واحد من خمسة أشخاص يعيشون في العالم».

أمّا المؤلف الأمريكي روبرت موري وهو «اختصاصي معترف به عالميّاً» في حقل الديانات المقارنة ـ وهو مسيحي أُصولي إلى أخمص قدميه ـ فقد أصدر حديثاً كتاباً سمّاه: «إماطة اللّثام عن الإسلام: عاصفة الصحراء الحقيقيّة»، والذي نشره في عام ١٩٩١. وهذا الكتاب يدّعي، على صفحة غلافه الأخير، بأنّه «يبرهن» على أنّ كل الطقوس والعقائد الخاصة بالإسلام يمكن أن تُعزىٰ إلى أُصول وثنيّة كانت سائدة

قبل الإسلام. والدكتور موري له برنامج إذاعي يُهاجم فيه الإسلام بشكل متواصل. وفي أحد برامجه الأخيرة فإنّه تجرّأ وقال:

«... لو أنّ محمّداً كان حيّاً اليوم، فإنّه على أكثر الاحتمالات كان سيشخّص على أنّه قاتل مُصاب باضطراب عقليّ وهو جزّار بالجملة ومؤذٍ للأطفال».

إنّ كلاماً مثل هذا، وهو فقط مثال بسيط علىٰ الحجم الهائل لمادة الكراهية التي تنتج اليوم، هو ممّا يثير الاشمئزاز.

وهذا يؤدِّي فقط إلى تقوية وتوسيع «القوالب الجاهزة» المتحيّزة ضدّ الإسلام والتي يتمسّك بها المسيحيون، ولزيادة مستويات عدم الثقة والعداء بين منتسبي هاتين الديانتين. فكيف يكون ممكناً أن يتقرّب الواحد للآخر على قاعدة من الودّ عندما تكون قُمامة كهذه تُشبّع عقل الإنسان؟

وطالما استمر الإسلام بالنمو والانتشار فإنّ هذه التهجّمات سوف تزداد. إنّ المسيحييّن خائفون، وهذه إحدى الطرق التي اختاروها للتعامل مع ذلك الخوف. إنّها طريقة أوجدت منذ مئات السنين وهم يشعرون بالراحة عندما يمارسونها. فبدلاً من أن يفتحوا باب النقاش فإنّهم يشنّون هجوماً وراءه غَضبٌ جامح.

رسم الصور في أشكال أُخرى من وسائل الإعلام

إلى جانب الكتب والكراسات وبرامج الراديو... الخ، والتي تستهدف الإسلام مباشرة، فإنّ هناك التهجّمات الأكثر مكراً التي يشنها المسيحيّون من خلال الكتابات الأكثر انتشاراً من الروايات والتقارير مع تصوير التلفزيون والسينما للإسلام والمسلمين ككتلة تفور بالإرهاب

والإرهابيين.

فالكتب تحوي أعمالاً مثل «المنبع» لجيمس متشنر، والكتاب الجديد «مجموع كل المخاوف» لتوم كلانسي. وهناك أيضاً العناوين ذات «القوالب الجاهزة» المتحيّزة مثل «جهاد» و «السيف المقدّس» و «الغضب الأقدس». وواحدة من الروايات المؤذية وعنوانها «قدس الأقداس» تتكلّم عن قصة يقوم فيها عدة أشخاص فرنسيين مع تأييد روسي وإسناد إسرائيلي بتدمير المسجد الحرام أثناء موسم الحج. وبالطبع فعند الكلام عن الكتب التي توجّه الإهانات للإسلام، فلا يمكننا أن ننسىٰ رواية سلمان رشدي الشائنة «الآيات الشيطانية». إنّه قال مرّة بعد المرّة إنّ إهانة الإسلام لم تكن هدفه، ولكن الأسماء والأمكنة التي استخدمها في كتابه هي من التطابق بحيث لايمكن تصديق ما يقوله.

إنّ الهجومات التي تُشنّ من خلال التلفزيون تثير الانتباه. ففي صيف عام ١٩٩١ مثلاً فإنّ سلسلة من المناقشات أُجريت بين اثنين من المسلمين واثنين من المسيحيين حول قضايا الاختلاف بين الديانتين. إنّ المناظرات الستّة تمّتْ تلفزتها في برنامج مسيحي إنجيلي على فترة عدّة أسابيع، ولقد أحسن المسلمون في تمثيل دينهم حتى في ضوء العداء السافر من جميع الجهات بما فيهم رئيس اللجنة والمناظرين المسيحيين وحتّىٰ من جانب جمهور المستمعين الذي كان يتكوّن بغالبيته من المسيحيّين.

إنّ جماعة البرنامج التلفزيوني، على أي حال، تمكّنوا من أن تكون لهم «الضحكة الأخيرة» كما يُقال، لأنّهم أوّلاً تلاعبوا بالأشرطة التي أُذيعت حتى يُظهروا المسلمين بمظهر رديء، وثانياً فإنّهم أصدروا كُرّاساً متزامناً مع سلسلة المناقشات للمشاهدين في بيوتهم وكان بعنوان «الحقائق عن الإسلام». إنّ العنوان المناسب للكراس كان يجب أن يكون «التخرّصات

على الإسلام» لأنّ القارئ لايجد هناك إلّا قليلاً جداً من الحقيقة ولكن يجد كثيراً من التشويه والتحريف والأكاذيب الصريحة.

أمّا بالنسبة للأفلام، فهناك «الأحد الأسود» حيث يقوم فيه «إرهابيون» فلسطينيون بالتخطيط لإبادة كل أولئك الذين يحضرون لعبة السوبربول (لعبة بطولة كرة القدم الأمريكية السنوية للمحترفين). هذا إلى جانب فلم «لا أذهب بدون ابنتي» والذي يعطي صورة مرعبة حقّاً للعلاقة بين العائلات الإسلامية.

إنّ «القوالب الجاهزة» المتحيزة تغذّيها وتحافظ على استمرارها أشياء كهذه. وطالما استمرت هذه الأشياء فإنّ الإسلام سوف يواجه وقتاً عصيباً في أن ينظر إليه بأيّة صورة غير الصورة السلبية تحت مثل هذا الضوء. وكمسلمين فإنّه يجب علينا أن نكون أقوياء عندما تصل الأُمور إلى حد التعرض لمثل هذه الهجمات على عقيدتنا... سواء كانت هذه بـ «طرق الحب والمودّة» أو بطريقة السموم المفضوحة. إنّ الله تعالىٰ يقول لنا في القُرآن:

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ومِنَ الَّذِينَ أشْرَكُوا أذَىً كَثيراً وَإِن تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا فإنّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور ﴾ (آل عمران ـ ١٨٦).

طوائف المسيحيّة

لقد أصبحت المسيحية قوة كبيرة في عالم اليوم. وبالرغم من أنّهم يدعون بأنّ لهم أكبر عدد من التابعين في العالم، فإنّ المسيحيّة بنفسها كتلة من طوائف متباينة يختلف كل منها عن الأُخرىٰ ببعض الميزات.

وبينما يوجد في الإسلام فرقتان وهما السنة والشيعة، فإنّ هذا الانقسام سياسي وليس دينياً. أمّا في المسيحية فإنّ الانقسامات تأتي ضمن خطوط دينية. فبينما يشارك الكلّ في الاعتقاد بالله ـ ويجب أن لا ننسىٰ الاعتقاد بعيسىٰ ـ فإنّ الأشياء تكون مختلفة بعد ذلك.

ورغم أنّ العدد الحقيقي لطوائف المسيحية غير معروف، فإنني مدركة أنّ هناك مايقرب من الخمسين طائفة مختلفة ضمن المسيحية تتدرج من الأمْشيّة *AMISTI*، الذين اختاروا أن ينسحبوا من العالم تاركين وراءهم وسائل الرّاحة الحديثة مثل الكهرباء والسيّارات، إلى التوحيديين، الذين يعتبرهم معظم المسيحيين بأنهم غير مسيحيين لأنهم لا يعتقدون بفكرة أنّ عيسىٰ هو ابن الله ولا بفكرة الثالوث.

والروم الكاثوليك، وهم أكبر الطوائف المسيحية في عالم اليوم، يقدّسون القدّيسين ووالدة عيسىٰ، وإنّ خبز القربان المقدّس أثناء العشاء المقدّس عندهم يتحوّل كما، يقولون، إلى الجسد الحقيقي للمسيح، والخمر إلى دمه الحقيقي عندما يبارك عليه القس.

إنّ عدم رغبة الكنيسة الأورثودكسية لأن تلتزم بالرهبانية جعلها تنشقّ عن روما في القرون الوسطىٰ والآن تتربّع مسيطرة في الشرق.

وهؤلاء يلتزمون بالزخارف الكاثوليكية ولكنهم وضعوا لأنفسهم أعياداً دينية مختلفة ويقسمون بالولاء «لأب مقدّس» مختلف عن ذلك الذي يدين له الروم الكاثوليك.

وفي عام ١٥١٧ ولدت طائفة المسيحيين البروتستانت، والتي كانت في حقيقتها ثورة ضد ممارسات معيّنة ضمن الكنيسة الكاثوليكية فمثلاً:

١ ـ إنّ الكاثوليك مولعون بالكنائس المزخرفة والمعقّدة، بينما نجد البروتستانت يتجهون إلى جعلها لطيفة وبسيطة.

٢ ـ إنّ الكتابات الكاثوليكية المقدّسة تحتوي على عدد من كتب «الكتب المخفيّة»، أمّا البروتستانت فيتفادون التعامل مع أي من هذه «الكتب المخفيّة».

٣ ـ إنّ الكاثوليك عندهم تماثيل في كنائسهم وتماثيل في بيوتهم وتماثيل في سياراتهم ويدفنون تماثيل في الحدائق الأمامية عندما يعلنون عن بيع بيوتهم ويزيّنون صلبانهم بتمثال عيسىٰ المصلوب. والبروتستانت يصرخون أنّ هذه هي «عبادة الأصنام»، وكثير منهم لايقتنون حتىٰ صليب عادي كزينة في داخل كنائسهم.

ومن داخل فرع البروتستانت في المسيحية تكونت طوائف ذات أعداد هائلة ومعها عقائد خاصة بها.

فاللّوثريون يتبعون تعاليم مارتن لوثر، ولكن جماعة الكنائس الإصلاحية لايعتبرونه متشدّداً بما فيه الكفاية، ولذلك فهم يتبعون تعاليم جون كالفين.

والمعمدانيّون الذين يعتقدون أنّ البالغين وليس الأطفال هم الذين يجب تعميدهم قد طوردوا واضطهدوا بلا رحمة من قبل كل من

الكاثوليك والبروتستانت في القرون الوسطىٰ ولكنهم الآن أصبحوا طائفة ذات اعتبار ضمن المسيحية.

إنّ الكاثوليك لم يتقبّلوا الحركة البروتستانتية برحابة صدر أبداً، ولقد كان البحث عن الحرية الدينية هو الذي دفع الأُوربيين للخروج من أوطانهم الأصلية والهجرة إلى العالم الجديد.

وعندما استقر البيوريتاريون (المتطهّرون) في أمريكا في أثناء القرن السابع عشر فإنّ مجموعة جديدة كبيرة من الطوائف ظهرت إلى الوجود في العالم الجديد في السنوات التي تلت ذلك.

وطائفة «الهزّازون *SHAKERS* » كانوا يعتقدون بالعزوبة الصارمة، فليس من العجيب، بعد ذلك، أنّهم قد زالوا من الوجود.

والخمسينيون يدعون أنّهم « يتكلّمون بالألسن » ويقال إنّ طقوسهم الكنسيّة تثير الانتباه، وهم أيضاً يعتقدون أنّ الكتاب المقدّس هو معصوم ـ أي أنّه خالٍ تماماً من الأخطاء ـ ومن بين صفوفهم نعرف الآن أشخاصاً « لا يُنسَوْن » مثل جيمي سواجارات إضافة إلى تامي فاي بيكر*.

أمّا « شهود يهوه » فإنهم يقضون معظم وقتهم في قراءة كتاب «الكشوفات *REVECATIONS* » ويحلمون باليوم الذي سيدمّر فيه كل واحد وكل شيء على وجه الأرض باستثنائهم.

والمورمونيون *MORMONS* لهم نبيّهم الخاص ـ واسمه جوزيف سميث ـ والذي جاءهم بكتاب من المخطوطات المقدّسة يعتبرونه بقدسية

---

* جيمي سواجارات (الواعظ) ألقي عليه القبض في بيت أحدى المومسات. وتامي فاي بيكر حوكمت مع زوجها باختلاس ملايين الدولارات من أموال الكنيسة (المترجم).

الكتاب المقدّس. إنّ طريقتهم في «الزواج السماوي» ـ أي في تعدّد الزوجات ـ كادت أن تتسبب في عدم قبول ولاية يوتاه كولاية من الولايات المتحدة.

أمّا طائفة «العلماء المسيحيون» فهم أيضاً لهم مخطوطات مقدّسة إلى جانب الكتاب المقدّس، ولقد تنبّأت نبيّتهم ماري بيكر أدّي أتباعها أنّ الايمان والعلم يستطيعان أن يقهرا كل شيء بما في ذلك الدوافع الجنسية.

وهذه الطوائف الكثيرة المتعددة ذات الممارسات المختلفة العديدة يجمعها سبب واحد: إنّ إيمانهم المسيحي هو «الايمان الوحيد الصحيح». إنّ هذا الولاء المتّسم بالتعصب للكهنوتية كان ولايزال هو السبب لأحداث عديدة من العنف غير المعلن ضد معتنقي الديانات الأُخرىٰ، مثل الحملات الصليبية ومحاكم التفتيش وحتّىٰ حملات الإبادة النازيّة.

إنّ التعصّب هو شيء مخيف عندما يكون نتيجة للاعتقاد بنظرية لاهوتية غير معقولة. أمّا بالنسبة للمسلم، فإنّ الله يخبرنا:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ... ﴾ (آل عمران ـ ١٠٣).

ثمّ إنّنا يجب علينا أن نمتثل لقول الله:

﴿ ... وٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرابِطُوا وٱتّقُوا اللهَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُون ﴾ (آل عمران ـ ٢٠٠).

والسبب في ذلك هو كما في قول الله:

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إلىٰ اللهِ وَهُوَ مُحسِنٌ فَقَدْ ٱسْتَمْسَكَ بالعُروَةِ الوُثْقَىٰ وَإلىٰ اللهِ عَاقِبَةُ الأمُور ﴾ (لقمان ـ ٢٢).

وفي الختام

بينما تكون المسيحية متعلّقة بكل تأكيد بعيسىٰ، فإنّها بكل تأكيد ليست من عيسىٰ. إنّها لاتحمل أيّ شبه للرسالة التي جاء بها رسول الله هذا. وبدلاً من ذلك فإنّها أصبحت كتلة من اللّاهوت المعقّد المبني حول شخص من أبناء البشر والذي اتُّخِذَ فيما بعد إلٰهاً.

ففي كتابه المسمّى «المسيحيّة الأساسية» يضع المؤلف جون ستوت فكرة شائقة يقول فيها:

«في الأساس فإنّ المسيحية هي المسيح. إنّ شخص المسيح وأعماله هما حجر الأساس الذي بُني عليه الدين المسيحي. فإذا لم يكن هو ذلك الشخص الذي قال إنّه هو، وإذا لم يقم بعمل الأشياء التي قال إنه جاء ليقوم بها، فإنّ كلّ البناء الفوقي للمسيحية سوف ينهار وتتساقط أنقاضه فوق الأرض»[٣١].

إنّ النبيّ محمّداً (ص) بعد مشادّات مع يهود المدينة حول قضايا دينية، قال إنّ اللّاهوت هو هراء أطفال... وهو عدو الدّين.

فالإسلام تبعاً لذلك، هو دين بسيط ليس مدفوناً تحت تعقيدات غامضة وغير منطقية من العقائد. وليس في الإسلام كهنوت ولا قدّيسون ولا مراتب دينية ولا قرابين مقدّسة. إنّ اللّاهوت لا مكان له في الإسلام، لأنّ الإسلام طريقة حياة وليس حفنة من الكلمات.

---

(٣١) المسيحية الأساسية، ص ٢٠.

واليهودية، رغم أنّها في بعض الأحيان قد خرجت عن الصراط في كتب تعليقاتها عن الشريعة، لاتزال تحتفظ بوحدانية الله كأحد أعمدة الإيمان.

والإسلام يدعو إلى الخضوع إلى الله الواحد، وهذا المفهوم حول وحدانية الله هو العقيدة الأساسية فيه.

والمسيحية، من جهة أُخرى، تأتي علناً وتقول إنّ سيّدها هو عيسىٰ المسيح. وحسب ما يقول فرتز رايدنور «... نحن نخضع لسلطانه...»[٣٢].

ونحن ننظر مرّة أُخرى إلى انجيل متّى ٤ : ١٠ وفيه يقول عيسىٰ:

«إنّكم يجب أن لا تسجدوا لأي أحد إلّا للربّ إلٰهكم، ولا تعبدوا إلّا إيّاه وحده».

فعيسىٰ يقول إنّ الله وحده هو الذي يجب أن نعبده. إنّ الدّين ليس مسألة للحدس والخطابات ولكنه قضية تخصّ الحقيقة والسلوك. إنّ الدّين الحقّ هو قضية سلوك وهو علامة الإخلاص من جانب الشخص المؤمن.

إنّ إخواننا المسيحيّين وأخواتنا المسيحيّات يجب عليهم أن يأخذوا هذه القضايا بجد. فليس هم فقط لا يمارسون دينهم ـ فيما عدا أيّام الآحاد ـ ولكنّهم أيضاً فقدوا كلّ علاقة مع تعاليم الرجل الذي يشكّل اسمه الأساس الأوّل لعقيدتهم آخذين بدلاً من ذلك وبقناعة معتقدات وتقاليد وثنية ويحاولون أن يلبسوها قناع عقيدة التوحيد. إنّ أصدقاءنا المسيحيّين يحتاجون بكل تأكيد إلىٰ بحث عميق في داخل نفوسهم.

---

(٣٢) كيف تكون مسيحياً في عالم غير مسيحي، ص ١٢٦.

أمّا بالنسبة للمسلم فإنّ عليه وقبل كل شيء أن يتذكر أنّ الله قال في القرآن:

﴿ وَلَنْ تَرْضىٰ عَنْكَ اليَهُودُ ولا النّصَارىٰ حتّىٰ تَتّبِعَ مِلّتَهُم ... ﴾ (البقرة ـ ١٢٠).

ويجب علينا أن نتذكر تلك الكلمات الأخيرة التي أوحاها الله إلىٰ النّبي محمّد (ص):

﴿ ... اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُم الإسْلامَ دِيناً ... ﴾ (المائدة ـ ٣).

وبعد كل هذا وذاك، فإنّنا يجب دائماً أن نستحضر في أذهاننا الكلمات التالية من الله والتي تتميّز بأهمية بالغة:

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بالحقِّ علىٰ الباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فإذا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الوَيْلُ مِمّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء ـ ١٨).

تمّت ترجمة هذا الكتاب في يوم ١٩٩٤/١٠/١٥م، المصادف لليوم التاسع من جمادى الأولىٰ سنة ١٤١٥ هجرية، والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ أكرم الأنبياء والمرسلين وعلىٰ آله وأصحابه المُنتجبين.

فهرست المصادر

Bibliography

Abdalati, Hammudah. Islam In Focus. Indianapolis, In: American Trust Publications, 1975.

Ahmad, Khurshid. Islam and the West. Lahore, Pakistan: Islamic Publications, Ltd., 1986.

Ajijola, A. D. A. Myth of the Cross. Chicago: Kazi Publications, 1979.

Al-Johani, Dr. Maneh Hammad. The Truth About Jesus. Riyadh, Saudi Arabia: World Assembly of Muslim Youth, 1987.

All Scripture Is inspired of God and Beneficial. Whach Tower Bible and Tract Society. Brooklyn (NY): WTBTS, 1990.

Andry, Carl Franklin, Ph. D. Jesus and the Four Gospels. Muncie, IN: Prinit Press, 1978.

Badawi, Dr. Jamal. Jesus In the Qur'an and the Bible: An Outline. Halifax, Nova Soctia: Islamic Information Foundation.

--------------------. Muhammad In the Bible. Halifax, Nova Scotia: Islamic Information Foundation.

Bainton, Roland H. Early Christianity. Princeton (NJ): Van Nostrand Co., Inc.

"Bits 'N Pieces". The American Muslim, July-Sept., 1992, p.22.

Bloom, Harold. The American Religion: The Emergence of the Post-Christian Nation. NY: Simon & Schuster, 1992.

Brown, Aisha. Three In One: the Doctrine of the Trinity. Chicago (IL): The Open School, 1992.

Bucaille, Maurice: The Bible, the Qur'an and Scince. Dehli, India: Crescent Publishing, 1978.

Chirri, Imam Mohamad Jawad. Inquiries About Islam. Detroit (MI): Harlo Press, 1986.

Davies, A. Powell. The Meaning of the Dead Sea Scrolls. NY: New American Library, Inc., 1956.

Deedat, Ahmed. Is the Bible God's Word? Durban, South Africa: Islamic Propagation Centre.

Dibble, R. F. Mohammed. NY: Garden City Publishing Co., Inc., 1926.

Durant, Will. The Age of Faith. NY: Simon and Schuster, 1950.

Evans, Rod L. and Irwin M. Berent. Fundamentalism: Hazards and Heartbreaks. La Salle (IL): Open Court Publishing Co., 1988.

Frazer, Sir James George. The Golden Bough. NY: Macmillan Company, 1940.

Grun, Bernard. The Timetables of History. NY: Simon & Schuster, 1991.

Haneef, Suzanne. What Everyone Should Know About Islam and Muslims. Des Plaines (IL): Library of Islam, 1985.

Harstad, Bjug A. Is the Bible Reliable? Parklad (WA), 1929.

Hart, Michael H. The 100: A Ranking of the Most Influential Persons In History. NY: Hart Publishing Co., Inc., 1978.

Holy Bible. Authorized King James Version. Grand Rapids (MI): Zondervan Corp., 1977.

Holy Qur'an: Trans. by A. Yusuf Ali. Madinah (Saudi Arabia): King Fadh Holy Qur'an Printing Complex, 1989.

Jameelah, MaryAm. Islam Versus the West. Lahore, Pakistan: My Khan and Sons, 1984.

Jansen, G. H. Militant Islam. NY: Harper & Row, 1979.

Johnson, George. Christmas Ornaments, Lights and Decorations. Paducah (KY): Collector Books, 1990.

Kingsriter, Del. Sharing Your Faith With Muslims. Minneapolis (MN): Center For Ministry to Muslims.

------------------. *Journey To Understanding. Minneapolis (MN): Center For Minsitry to Muslims.*

Levy, Leonard W. Treason Against God: A History of the Offense of Blasphemy. NY: Schocken Books, 1981.

Light of Truth, The. Canada: Maritime Muslim Students' Association.

Lippman, Thomas W. Understanding Islam. NY: Penguin Books, 1990.

McCurry, Don M. Muslim Awareness Seminar Notebook. Pasadena, CA: Joy Printing, 1981.

Maier, Paul L. First Christians: Pentecost and the Spread of Christianity. NY: Harper & Row, 1976.

Manchester, William. A World Lit Only By Fire. Boston (MA): Little, Brown and Co., 1992.

Mankind's Search For God. Watch Tower Bible and Tract Society. Brooklyn (NY): WTBTS, 1990.

Marty, Martin E. A Short History of Christianity. Cleveland (NY): William Collins & World Publishing Co., Inc., 1975.

Mears, Henrietta C. What the Bible Is All About. Minneapolis, MN: The Billy Graham Evangelistic Association, 1966.

"Media Response -- Publications Edition". The American Muslim, Jan-march, 1992.

Mohammad, Ch. Nazar. Commandments By God In the Qur'an. NY: The Message Publications, 1991.

Morey. Dr Robert A. Islam Unveiled: The True Desetr Storm. Schermans Dale, PA: The Scholars Press, 1991.

Mufassir, Sulaiman. Jesus In the Qur'an. Plainfield (IN): Muslim Students' Association, 1977.

Murstein, Bernard I. Love, Sex and Marriage Through the Ages. NY: Springer Publishing Co., 1974.

Neufeldt, Victoria, ed. Webster's New World Dictionary. NY: Simon and Schuster, 1988.

New Testament For America, The. Taken from the Holy Bible, New International Version. South Holland, IL: The Bible League, 1984.

New York Public Library Desk Reference, The. NY: Webster's New World, 1989.

Reach Out In Friendship. Center For Ministry to Muslims. Minneapolis (MN): CMM.

Ridenour, Fritz. How To Be A Christian In An Unchristian World. Glendale, CA: G/L Publications, 1971.

Rosten, Leo. Religions of America. NY: Simon and Schuster, 1975.

Russell, D. S. Between the Terstaments. Philadelphia: Fortress Press, 1960.

Shorrosh, Dr. Anis A. Islam Revealed. Nashville: Thomas Nelson Publishers, 1988.

Stott, John. Basic Christianity. Downers' Grove, IL: Inter-Varsity Press.

The Bible: God's Word or Man's? Watch Tower Bible and Tract Society. Brooklyn (NY): WTBTS, 1989.

Thiessen, John Caldwell. A Survey of World Missions. Chicago: Inter-Varsity Press, 1955.

This Is the Catholic Church. Knights of Columbus. New Haven (CO): K of C, 1955.

المحتويات